قصة زواج النبي (صلى اللّه عليه وسلم)
بالسيدة زينب بنت جحش (رضي اللّه عنها)
بين الدخيل والأصيل في التفسير

دكتور
أحمد رمضان مصطفى دياب

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد
كلية أصول الدين بالقاهرة

١٤٣٧ هـ - ٢٠١٦ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام علىٰ المبعوث رحمة للعالمين . سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه ومَن عمل بسنته واهتدىٰ بهديه إلىٰ يوم الدين .

أما بعد:

فلقد اهتم المسلمون بتفسير القرآن العظيم اهتماماً بالغاً ، واعتنوا بدراسته وبيان علوم عناية فائقة ، وقدَّم العلماء – وما زالوا يقدمون – ثروة علمية هائلة ، في خدمة هذا الكتاب العزيز ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد .

فزخرت المكتبة الإسلامية – وخاصة التفسيرية – بكم كبير وقدر عظيم من المصادر والمراجع في خدمة القرآن الكريم .

ومما لا ينكره باحث منصف أن هذا التراث – الذي خلفه علماؤنا – قد اشتمل علىٰ الغث والسمين ، ودُوِّن في تفسير القرآن الدخيل والأصيل وهذا ما جعل طائفة كبيرة من الباحثين والمحققين يعكفون علىٰ تنقية هذا التراث مما علق به من الدخيل .

وهذا البحث الموجز ما هو إلا محاولة متواضعة في هذا المجال ، دفعني

إلىٰ كتابته اليوم ما أراه من محاولات الأعداء المتجددة ، الرامية إلىٰ الطعن في قداسة القرآن الكريم وشخص النبي العظيم ﷺ ، الذي كان خُلُقه القرآن .

لقد عمد الأعداء في العصر الحديث إلىٰ تشويه القرآن العظيم ، وتشويه صورة النبي الكريم ﷺ، وما فعله الغرب من صور وأفلام مسيئة للنبي ﷺ عنا ببعيد ، لذلك كانت الضرورة ملحة لكتابة هذه السطور .

فقمت بكتابة هذا البحث، وسميته :

قصة زواج النبي (ﷺ) بالسيدة زينب بنت جحش ، بين الدخيل والأصيل في التفسير . وقد جاء هذا البحث مشتملاً – بعد هذه التقدمة – علىٰ ستة مطالب وخاتمة .

المطلب الأول : آيات القصة في القرآن الكريم .

المطلب الثاني : ما ورد حول القصة من روايات مُخْتَلَقَة وقصص موضوعة .

المطلب الثالث : نقد تلك الروايات والحكم عليها .

المطلب الرابع : التعريف بالسيدة زينب ، وسيدنا زيد رضي الله عنهما.

المطلب الخامس : التفسير الصحيح للآيات والقصة .

المطلب السادس: افتراءات الخصوم حول القصة وتفنيد هذه الافتراءات.

أمـــا الخاتمـــة : فاشـــتملت علـــىٰ التوصـــيات وفهـــرس المصـــادر والموضوعات

وبعـــــد :

فهذا بحثي بين يديك ، إن كنتُ وفقتُ فيه إلىٰ ما إليه قصدتُ فالخيرَ أردتُ ، وهـو محـض فضـل مـن الله تعـالىٰ ، والحمـد لله الـذي بنعمتـه تـتم الصالحات ، وإن كانت الأخرىٰ – ولا حول ولا قوة إلا بـالله – فمـن نفسـي ، وما أبرؤها ، وأرجو من الله غفران الذنوب .

ومـا ادعيـت لنفسـي فقهـاً ولا لبحثـي كمـالاً ، ولكـن اجتهـدت قـدر استطاعتي

والله تعالىٰ من وراء القصد .

وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

دكتور

أحمـد رمضـان مصطفى دياب

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد

كلية أصول الدين بالقاهرة

﴿ تـوطئة ﴾

دَأَبَ كثير من أعداء الإسلام وخصومه والمتربصين به – من المبشرين والمستشرقين وذيولهم – علىٰ الطعن في القرآن ، وتغيير الحقائق الإسلامية ، وتزوير التاريخ الإسلامي ، وإظهار الدخيل - الذي لا أصل له - في التفسير ، وتشويه صورة الرسول الأعظم محمد ﷺ.

ولم يكن غريباً أن يتتبع هؤلاء ما ورد في كتب التفسير القرآنيّ من مرويات ، وما جاء به التاريخ الإسلامي من أحداث ، وما اشتملت عليه السيرة النبوية من حياة النبي ﷺ .

تتبع هؤلاء ذلك بالبحث والنقد والتحليل ، لتدمير الثقة بثوابت الإسلام الأساسية ، وعلىٰ رأسها القرآن الكريم ورسوله العظيم ﷺ .

ومما ساعد الأعداء علىٰ ذلك هذا الكم الهائل من الدخيل في كتب التفسير وتلك الأخبار الموضوعة والروايات المُخْتَلَقَة المبعثرة في كتب التراث الإسلامي .

فعمل هؤلاء – بدافع الحقد والكراهية للإسلام ورسوله ﷺ – علىٰ إظهار تلك المَرْويَّات ونشرها .

ولم يثنهم عن ذلك ما قام به المحققون من التنبيه علىٰ وضع تلك الروايات والرد عليها.

ومن الأحداث التي وقف عندها خصوم الإسلام والطاعنون في القرآن: حادثة زواج النبي الكريم ﷺ من السيدة زينب بنت جحش رضي الله عنها .

لقد استغل مرضىٰ القلوب وضعاف العقول – من المبشرين والمستشرقين وذيولهم – تلك الحادثة لتشويه صورة الرسول ﷺ .

وقد استند هؤلاء إلىٰ روايات موضوعة وأخبار مكذوبة ، وأخرىٰ ضعيفة وُجِدَت مُنْبَثَّة في طيات كتب التفسير والحديث والسيرة النبوية .

فعمد هؤلاء إلىٰ تلك الروايات ، ونسجوا منها ثوبًا من الكذب والخيال ، وأطلقوا العنان لأقلامهم حتىٰ صوّروا الرسول الكريم ﷺ بالرجل الشهواني ، الذي يستحوذ علىٰ قلبه ووجدانه جمال النساء ، ومظاهر الزينة ، ومتع الحياة الدنيا .

بل وصل الأمر ببعضهم إلىٰ تصوير الرسول ﷺ في زواجه من السيدة زينب رضي الله عنها بصورة سفاح الأقارب ، علىٰ حد وصفهم ، أخزاهم الله تعالىٰ .

وتلك شبهات واهية ، وافتراءات مكذوبة ، ونزعات طائشة ، وضربات مرتجفة ، وطعنات في غير مطعن ، وخيال في عقول أصحابه ، لا أساس له من الصحة ، ويتضح ذلك من السطور القادمة ، إن شاء الله .

فنقول وبالله التوفيق

﴿ المطلب الأول ﴾

﴿ آيات القصة في القرآن الكريم ﴾

لقد جاءت قصة زواج النبي ﷺ بالسيدة زينب بنت جحش رضي الله عنها في قوله تعالىٰ : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًاۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ ﴾[1].

صدق الله العظيم

(١) الآيات ٣٦ : ٣٩ من سورة الأحزاب .

﴿ المطلب الثاني ﴾

﴿ ما ورد حول القصة من دخيل وروايات مُخْتَلَقَة وقصص موضوعة ﴾

لقد ذكر غير واحد من المفسرين في تفسير الآيات السابقة – وخاصة الآية الثانية – دخيلاً لا أصل له في التفسير القرآني الصحيح ، وأورد البعض في تفسيره قصصاً عجيبة ، وحكايات غريبة ، وروايات موضوعة ، تتنافى مع أخلاق النبي العظيم ﷺ ، ولا تتفق وجلال النبوة .

ومما ورد في ذلك ما يأتي :

١– ما ذكره الإمام الطبري رحمه الله في تفسيره ، حيث قال :

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد[١] : كان النبي ﷺ قد زَوَّجَ زيدَ بن حارثة زينب بنت جحش ، ابنة عمته ، فخرج رسول الله ﷺ يوماً يريده ، وعلىٰ الباب ستر من شعر ، فرفعت الريح الستر فانكشف ، وهي في حجرتها حاسرة ، فوقع إعجابها في قلب النبي ﷺ .

فلمَّا وقع ذلك كُرِّهَت إلىٰ الآخر[٢]، فجاء فقال ، يا رسول الله إني أريد أن أفارق صاحبتي ، قال : مالك ، أرابك منها شيء ؟ قال : لا ، والله ما رابني منها

---

(١) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، كما بَيَّنَ ذلك ابن حجر في الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف ٣/ ٥٢٤ .

(٢) يعني زوجها زيد بن حارثة ﷺ .

شيء يا رسول الله ، ولا رأيت إلا خيراً ، فقال له رسول الله ﷺ : أمسك عليك زوجك واتق الله ، فذلك قول الله تعالىٰ : (وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ) ، تخفي في نفسك إن فارقها تزوَّجتها [1].

وهذه الرواية أوردها السيوطي في الدر المنثور[2]، وذكرها الزمخشري في الكشاف[3]، كما ذكرها النسفي في تفسيره[4]، وذكرها أبو السعود في تفسيره[5] ، وذكرها غير واحد من المفسرين .

٢– وذكر الطبري رواية أخرىٰ ، قال رحمه الله :

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ) وهو زيد ، أنعم الله عليه بالإسلام ، (وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ) أعتقه رسول الله ﷺ ، (أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ

(١) جامع البيان ٢٢/ ١٣، أوردها عند تفسيره الآية ٣٧ من سورة الأحزاب .

(٢) الدر المنثور ٦/ ٦١٤ .

(٣) الكشاف ٣/ ٥٢٤ .

(٤) تفسير النسفي ٣/ ٣٠٤ .

(٥) إرشاد العقل السليم ٤/ ٣٢٢ .

مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ) ، قال : وكان يخفي في نفسه وَدَّ أنه طلقها [1].

٣- وروىٰ ابن سعد في الطبقات قال :

أخبرنا محمد بن عمر ، قال : حدثني عبد الله بن عامر الأسلمي ، عن محمد بن يحيىٰ بن حبان ، قال : جاء رسول الله ﷺ بيت زيد بن حارثة يطلبه ، وكان زيد إنما يقال له زيد بن محمد ، فربما فقده رسول الله ﷺ فيقول : أين زيد ؟ فجاء الرسول ﷺ منزله يطلبه فلم يجده ، وقامت إليه زينب فضلاً [2]، فأعرض رسول الله ﷺ عنها ، فقالت : ليس هو هاهنا يا رسول الله ، فادخل بأبِي أنت وأمي ، فأبَىٰ رسول الله ﷺ أن يدخل ، وإنما عجلت أن تلبس لمَّا قيل لها رسول الله ﷺ علىٰ الباب ، فوثبت عَجْلَىٰ ، فأعجبت رسول الله ﷺ ، فولىٰ وهو يُهَمْهِمُ بشيء ، لا يَكَاد يُفْهَمُ منه إلا ربما أعلن سبحان الله العظيم ، سبحان مصرف القلوب .. الخ [3].

٤- ما ذكره غير واحد من المفسرين عن ابن عباس رضي الله عنهما.

فقد روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالىٰ

---

(١) جامع البيان ٢٢/ ١٣، وذكرها السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٦١٤ .

(٢) في الصحاح٢/ ١٣٣٥ مادة فضل : وتفضلت المرأة في بيتها إذا كانت في ثوب واحد .

(٣) طبقات ابن سعد ٨/ ١٠١ ، وأوردها السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٦١٢ ، وذكرها الألوسي في تفسيره ٢٢/ ٣٦ .

: (وتخفي في نفسك ما الله مبديه) قال : من محبتها ، أو قال حبها[1] ، قال القرطبي : وقال ابن عباس : (وتخفي في نفسك) الحب لها [2].

٥- ومن ذلك أيضاً ما ذكره كثير من المفسرين ، ومنه :

قال القرطبي : ذهب قتادة وابن زيد وجماعة من المفسرين _ منهم الطبري وغيره – إلىٰ أن النبي ﷺ وقع منه استحسان لزينب بنت جحش ...الخ كلامه [3] .

وقال الجلال المَحَلِّيُّ : (واتق الله) في أمر طلاقها ، (وتخفي في نفسك ما الله مبديه) مظهره من محبتها ، وأن لو فارقها زيد تزوجتها أ.هـ[4].

وقال أبو السعود : (أمسك عليك زوجك) أي زينب ، وذلك أنه عليه الصلاة والسلام أبصرها بعدما أنكحها إياه فوقعت في نفسه – حالة جبلية لا يكاد يسلم منها البشر – ، فقال : سبحان الله مقلب القلوب ، وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد ففطن لذلك ...[5] ، (وتخفي في نفسك ما الله مبديه)

---

(١) ذكره الخازن في تفسيره ٣/ ٤٢٧ ، والجمل في حاشيته ٣/ ٤٣٩ .

(٢) تفسير القرطبي ١٤/ ١٢٣ .

(٣) المرجع السابق .

(٤) تفسير الجلالين للآية ٣٧ من سورة الأحزاب .

(٥) وذكر ذلك الزمخشري في الكشاف ٣/ ٥٢٤ ، والبيضاوي في أنوار التنزيل ٢/ ١٩٥ .

وهو نكاحها إن طلقها ، أو أراد طلاقها . أ.هـ[1].

وقال الألوسي : وفي تفسير علي بن إبراهيم أنه ﷺ أتىٰ بيت زيد ، فرأىٰ زينب جالسة وسط حجرتها ، تسحق طيباً بفهر لها ، فلما نظر إليها قال : سبحان خالق النور ، تبارك الله أحسن الخالقين ، فرجع ، فجاء زيد فأخبرته الخبر ، فقال لها : لعلك وقعت في قلب الرسول ﷺ ، فهل لك أن أطلقك حتىٰ يتزوجك رسول الله عليه الصلاة والسلام ، فقالت : أخشىٰ أن تطلقني ولا يتزوجني ، فجاء إلىٰ رسول الله ﷺ فقال له : أريد أن أطلق زينب ، فأجابه بما قص الله تعالىٰ ... أ.هـ[2] .

فهذه بعض الروايات الدخيلة ، الواردة في قصة زواج النبي ﷺ بالسيدة زينب رضي الله عنها ، والتي وردت في كتب التفسير والحديث والسيرة ، وهي روايات باطلة مردودة ، لِما فيها من الكذب والافتراء علىٰ رسول الله ﷺ ، ويتضح بطلانها من التعليق الآتي عليها .

فنقول وبالله التوفيق :

---

(١) إرشاد العقل السليم ٣/ ٣٢٢ .

(٢) روح المعاني ٢٢/ ٣٦ .

﴿ المطلب الثالث ﴾

﴿ نقد تلك الروايات والحكم عليها ﴾

الرواية الأولى :

وهذه الرواية مردودة – على ما قال المحققون – لأشياء منها :

أن ابن وهب المذكور – وهو عبد الله بن وهب المصري – كان مُدَلِّسَاً ، قال عنه ابن سعد : عبد الله بن وهب كان كثير العلم فيما قال (حدثنا) وكان يُدَلِّس ، وقال النسائي عنه : كان يتساهل في الأخذ ، ولا بأس به ، وقال الساجي : كان يتساهل في السماع لأن مذهب أهل بلده أن الإجازة عندهم جائزة [1].

وخلاصة ما قاله العلماء فيه أنه لا يُقْدَح في روايته التي صَرَّحَ فيها بالتحديث أو السماع ، وما لم يصرح فيها بذلك فلا تقبل .

والرواية التي معنا لم يصرح فيها بالسماع أو التحديث ، فهي مردودة .

ثم إن الرواية هنا عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وهو متهم بالكذب والتحديث بالغرائب ورواية الموضوعات ، وقد تكلم في حديثه غير واحد من علماء الجرح والتعديل .

---

(١) تهذيب التهذيب لابن حجر ٦/ ٦٦ ، وانظر : الطبقات الكبرى ٧/ ٥١٨ ، وميزان الاعتدال ٣/ ٢٣٥ وما بعدها ، وسير أعلام النبلاء ٩/ ٢٢٣ وما بعدها .

قال أبو طالب عن أحمد : ضعيف ، وقال الدوري عن ابن معين : ليس حديثه بشيء ، وقال البخاري وأبو حاتم : ضعَّفه عليّ بن المديني ، وقال النسائي : ضعيف ، وقال أبو زرعة : ضعيف ، وقال أبو حاتم : ليس بالقويّ في الحديث ، كان في نفسه صالحاً وفي الحديث واهياً ، وقال ابن حبان : كان يقلب الأخبار وهو لا يعلم ، حتى كثر ذلك في روايته من رفع المراسيل وإسناد الموقوف ، فاستحق الترك ، وقال ابن سعد : كان كثير الحديث ضعيفاً جداً ، وقال ابن خزيمة : ليس هو ممن يُحتج بحديثه لسوء حفظه ، وقال الطحاويّ : حديثه عند أهل العلم بالحديث في النهاية من الضعف ، وقال الحاكم وأبو نعيم : روى عن أبيه أحاديث موضوعة وقال ابن الجوزيّ : أجمعوا على ضعفه ، وقال الشافعيّ : وهو منكر الحديث .

وقال ابن عبد الحكم : سمعت الشافعيّ يقول : ذكر رجل لمالك حديثاً منقطعاً ، فقال : اذهب إلى عبد الرحمن بن زيد يحدثك عن أبيه عن جده عن نوح عليه السلام .

وقال الساجيّ : ثنا البيع ، ثنا الشافعيّ قال : قيل لعبد الرحمن بن زيد : حدَّثك أبوك عن جدك أن رسول الله ﷺ قال : (إن سفينة نوح طافت بالبيت

وصلَّت خاف المقام ركعتين) ، قال : نعم ، [1].

وزيادة على ما سبق فإن الرواية المذكورة عند الطبري عن عبد الرحمن بن زيد مُرْسَلَة ، ولم يُذْكَر فيها الصحابي ولا التابعي ، بل هي مروية عن عبد الرحمن بن زيد ، فالحديث معضل[2]، حيث سقط الصحابي والتابعي من السند ، ومثل هذه الأمور تحتاج في قبولها إلى السند الصحيح المتصل ، وابن زيد يستحق أن يُتْرَك حديثه .

فالرواية واهية لعلتين قادحتين هما : ضعف ابن زيد ، وإرسال الرواية .

الرواية الثانية :

وهي مردودة أيضاً كسابقتها لأمور منها :

الراوي عن قتادة – وهو سعيد بن أبي عَرُوبة العدوى – كان كثير التدليس ، وقد اختلط – على ما قال علماء الجرح والتعديل – .

وإذا كانت مجموعة كبيرة من المحدثين وثَّقُوا سعيد بن أبي عروبة ، فهذا التوثيق قبل أن يختلط .

---

(١) تهذيب التهذيب ٦/ ١٦٢ ، وانظر : الطبقات الكبرى ٥/ ٣٠٦ ، ميزان الاعتدال ٣/ ٢٧٨ تقريب التهذيب / ٣٤٠ .

(٢) الحديث المعضل في اصطلاح المحدثين هو ما سقط من إسناده اثنان فصاعداً ، على التوالي والتتابع .

ولهذا قال ابن سعد في الطبقات عن سعيد : كان ثقة كثير الحديث ثم اختلط بعدُ في آخر عمره ، أ.هـ[1] .

وقال ابن حجر : قال أبو حاتم في سعيد : هو قبل أن يختلط ثقة ، وكان أعلم الناس بحديث قتادة ، وقال الأَزْدِيُّ : اختلط اختلاطاً قبيحاً ، وقال أبو داود : كان وكيع يقول : كنا ندخل على سعيد فنسمع ، فما كان من صحيح حديثه أخذناه ، وما لم يكن صحيحاً طَرَحْنَاه ، وقال النسائي : من سمع منه بعد الاختلاط فليس بشيء ، وقال أحمد : كان يقول بالقدر ويكتمه ، أ.هـ[2].

وقال في التقريب : ثقة حافظ ، له تصانيف ، لكنه كثير التدليس واختلط ، وكان من أثبت الناس في قتادة ، أ.هـ[3] .

وقال في الميزان : تغيَّر بأَخَره ورُمِي بالقدر ، قال أبو نعيم : كتبت عنه حديثين ثم اختلط ، فقمت وتركته ، وقال بُنْدار : كان سعيد قدريَّاً ، وقال أحمد بن حنبل : كان قتادة وهشام وسعيد يقولون بالقدر ويكتمونه ، وقال أحمد : كان سعيد يُدَلِّس ، وقال ابن معين : اختلط سعيد بعد هزيمة إبراهيم بن عبد الله ،

---

(١) الطبقات الكبرى ٧/ ٣٣ .

(٢) تهذيب التهذيب ٤/ ٥٦ وما بعدها.

(٣) تقريب التهذيب / ٢٣٢٧ .

قُلْتُ[1] : عاش بعد ثلاث عشرة سنة .

قال الذهبي : ومما يدل على اختلاط سعيد قول الجراح بن مخلد : سمعت مسلم بن إبراهيم يقول : قال لي سعيد بن أبي عروبة : مالِك خازن النار من أيّ حييّ هو ، أ.هـ[2] ؟

وزيادة على ما سبق فإن رواية سعيد هنا عن قتادة مُعَنْعَنَة [3]، والمحدثون يَرُدُّون رواية المُدَلِّس إذا عَنْعَنَهَا .

ثم إن هذه الرواية مُرْسَلَة كسابقتها ، حيث إن السند فيها قد انتهى إلى قتادة رضي الله عنه ، وهو تابعي ، فالحديث مرسل[4] .

ولم يصرح في الرواية بأن قتادة رواه عن أحد من الصحابة ، ومثل هذه الأمور – كما قلنا سابقاً– تحتاج في قبولها إلى السند الصحيح المتصل .

ولذلك تُرَدُّ هذه الرواية ويُحْكَمُ عليها بالبطلان وعدم الثبوت ، وأنها من الدخيل في التفسير ، ومن الموضوع المُخْتَلَق ، والله أعلم .

---

(1) يعني صاحب الميزان .

(2) ميزان الاعتدال ٢/ ٣٤١ وما بعدها .

(3) يعني قال سعيد : عن قتادة .

(4) الحديث المرسل في اصطلاح المحدثين هو : الذي رفعه التابعي إلى النبي ﷺ ، ولم يكن التابعي لقي النبي ﷺ ، وقيل هو الحديث الذي سقط من إسناده الصحابي .

الرواية الثالثة :

ورواية ابن سعد كذلك باطلة ومردودة لعدة وجوه منها :

أن محمد بن عمر– الواقدي – الذي أخذ عنه ابن سعد هذه الرواية ، ليس مَرْضِيَّاً عنه عند علماء الجرح والتعديل والحديث ، حيث إن جماعة من الأئمة قد رموه بالكذب ووضع الحديث .

قال عنه صاحب الميزان : محمد بن عمر بن واقد الأسلميّ ، قال أحمد بن حنبل : هو كذاب يقلب الأحاديث ، وقال ابن معين : ليس بثقة ، وقال مرة : لا يكتب حديثه ، وقال البخاري وأبو حاتم : متروك ، وقال أبو حاتم والنسائي : يضع الحديث ، وقال الدارقطني : فيه ضَعْف ، وقال ابن عدي : أحاديثه غير محفوظة والبلاء منه ، وقال ابن المديني : الواقدي يضع الحديث ، وقال ابن راهويه : هو عندي مِمَّن يضع الحديث وقال البخاري : سكتوا عنه ، ما عندي له حَرْف ، وقال إسحاق بن الطباع : رأيت الواقدي في طريق مكة يسيء الصلاة .

وختم صاحب الميزان كلامه عن الواقدي بقوله : واستقر الإجماع على وَهْن الواقدي ، أ.هـ[1] .

وقال صاحب التقريب : محمد بن عمر الأسلمي الواقدي ، متروك مع

---

(1) ميزان الاعتدال ٥/ ١٠٨ وما بعدها .

سعة علمه أ.هـ[1] .

وقال صاحب التهذيب : قال البخاري : الواقدي مدني ، سكن بغداد ، متروك الحـديث ، تركه أحمد وابن المبارك وابن نمير وإسماعيل بن زكريا ، وقال[2] – في موضع آخر – : كذبه أحمد ، وقال الشافعي فيما أسنده البيهقي : كتب الواقدي كلها كذب ، وقال النسائي : في الضعفاء الكذابون المعروفون بالكذب على رسول الله ﷺ أربعة ، الواقدي بالمدينة ومقاتل بخرسان ومحمد بن سعيد المصلوب بالشام وذكر الرابع ، وقال ابن المديني : عنده عشرون ألف حديث ما لها أصل ، وقال أبو داود : لا أكتب حديثه ، ولا أحَدِّث عنه ، لا أشك أنه كان يفتعل الأحاديث ، وقال بُنْدَار : ما رأيت أكذب منه ، وقال إسحاق بن راهويه : هو عندي ممن يضع ، وقال أبو زرعة والدولابي والعقيلي : متروك الحديث ، وحكى أبو العرب عن الشافعي قال : كان في المدينة سبع رجال يضعون الأسانيد ، أحدهم الواقدي ، وحكى ابن الجوزي عن أبي حاتم أنه كان يضع الأحاديث ، أ.هـ[3].

وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء : محمد بن عمر بن واقد الأسلمي

---

(1) تقريب التهذيب/ ٤٩٨ .

(2) يعني البخاري .

(3) تهذيب التهذيب ٩/ ٣١٤ وما بعدها .

الواقدي ، جمع فأوعى ، وخلط الغث بالسمين ، والخرز بالدر الثمين ، فاطرحوه لذلك ، وذكره البخاري فقال : سكتوا عنه ، تركه أحمد وابن نمير ، وقال مسلم وغيره : متروك الحديث ، قال أبو داود السجستاني : أخبرني مَن سمع عليّ بن المديني يقول : روى الواقدي ثلاثين ألف حديث غريب ، وعن يحيى بن معين قال : أغرب الواقدي على رسول الله ﷺ عشرين ألف حديث ، وقال يونس بن عبد الأعلى : قال لي الشافعي : كُتُبُ الواقدي كلها كذبٌ ، وعن أحمد بن زهير عن ابن معين قال : ليس الواقدي بشيء ، وقال مرة : لا يُكْتب حديثه ، وعن الدولابي أنه قال : قال لي أحمد بن حنبل : الواقدي كذابٌ ، وعن ابن إسحاق قال : هو عندي ممن يضع الحديث ، أ.هـ[1].

ثم إن عبد الله بن عامر الأسْلَمِيُّ – الذي روى عنه محمد بن عمر – ضعيف الحديث ، وقيل متروك .

قال عنه ابن حجر : قال أحمد وأبو زرعة وأبو عاصم والنسائي : ضعيف ، وقال أبو حاتم : متروك ، وقال ابن معين : ضعيف ليس بشيء ، وقال البخاري : يتكلمون في حفظه ، وقال البخاري أيضاً : ذاهب الحديث ، وقال ابن عدي عزيز الحديث ، وقال الآجري عن أبي داود والدارقطني : ضعيف ،

(١) سير أعلام النبلاء ٩/ ٤٥٤ وما بعدها .

وقال ابن حبان : كان يقلب الأسانيد والمتون ويرفع المراسيل ، أ.هـ[1].

وقال صاحب الميزان : عبد الله بن عامر الأسلمي ، ضعَّفه أحمد والنسائي والدارقطني ، وقال يحيى : ليس بشيء ، وقال البخاري : يتكلمون في حفظه ، وسُئِلَ عنه ابن المديني فقال : ذاك عندنا ضعيف ، قال ابن سعد : كثير الحديث ، قارئ القرآن ، يُسْتضَعف ، أ.هـ[2].

وقال صاحب التقريب : ضعيفٌ ، أ.هـ[3] .

وفضلاً على ما سبق فإن تلك الرواية مُرْسَلَة ، لأن الراوي الأعلى فيها – وهو محمد بن يحيى بن حبان – تابعيٌّ ، وليس في الرواية ذكر لصحابيٍّ ، فالحديث مرسل ، ومثل هذه الأمور – كما قلنا غير مرة – تحتاج في قبولها إلى السند الصحيح المتصل .

لذلك تُرَدُّ هذه الرواية ولا يُعَوَّل عليها .

وأما ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ، فلم أقف عليه – فيما اطلعت عليه من كتب التفسير والحديث – مسنداً إلى ابن عباس رضي الله عنهما ، ويكفي في الرد عليه أن مَن ذكره مِن المفسرين إنما ذكره بصيغة التضعيف

---

(1) تهذيب التهذيب٥/ ٢٤٤ وما بعدها .

(2) ميزان الاعتدال ٣/ ١٦٢ وما بعدها .

(3) تقريب التهذيب / ٣٠٩ .

والتمريض ، كقولهم : رُوِي ، أو : قيل ... ، أو ما شابه ذلك ، وفي ذلك دلالة قوية على أنه لا أصل له .

وأما ما ذكره بعض المفسرين – كالقرطبي والزمخشري والبيضاوي والمحلي وأبي السعود والألوسي وغيرهم – من دخيل في تفسير الآية ، فسيأتي بيانه والرد عليه قريباً ، إن شاء الله .

تلك كانت أقوال العلماء في هذه الروايات المذكورة ، وقد اتضح من خلال ما ذكرناه أن هذه الروايات باطلة ولا تصح ، وإذا كانت كذلك فلا يصح الاستدلال بها ، أو الاستناد عليها ، كما لا يُقْبَل بأيِّ حالٍ أن يُشَاد عليها بناء من الوهم والخيال ، أو الكذب والضلال ، يُتَطَاول به على مقام النبي ﷺ الرفيع ، أو يُنْقَص به جلال النبوة .

ولا يخفي علينا أن ما سبق كان نقداً لتلك الروايات من حيث السند ، وربما يُقال : إنه لا يلزم من صحة السند صحة المتن والعكس ، على ما تقول به بعض المذاهب الحديثية .

لأنَّا نقول : إنَّ تلك الروايات إنْ كانت واهية من جهة السند ، فهي من جهة المتن أوْهَى ، وقد رُوِي عن الربيع بن خثيم رضي الله عنه أنه قال : إن للحديث ضوءاً كضوء النهار تعرفه ، وظلمة كظلمة الليل تنكره .

وإن الناظر في متن تلك الروايات ليقطع – من الوهلة الأولى – بكذبها

ودسها وافترائها وردها ، فهذه الافتراءات تتعارض مع صريح القرآن ، وتتناقض مع أخلاق النبوة ، ويردها معرفة النبي ﷺ السابقة للسيدة زينب وكذلك يردها التفسير الصحيح للآيات ، ثم إن قضية تعدد زوجاته ﷺ مما يرد ذلك أيضاً ، وسيتضح ذلك في المطلب السادس ، إن شاء الله.

﴿ المطلب الرابع ﴾

﴿ التعريف بزينب وزيد رضي الله عنهما ﴾

زينب بنت جحش رضي الله عنها هي أم المؤمنين السيدة الفاضلة زينب بنت جحش بن رئاب الأسدية الهاشمية القرشية ، إحدى نساء بني أسد بن خزيمة ، أمها أميمة بنت عبد المطلب – عمة النبي ﷺ – وقد تزوج النبي ﷺ السيدة زينب بعد السيدة أم سلمة ، زوَّجَه الله إياها بعد أن كانت قبله عند مولاه زيد بن حارثة ﷺ ، ولم يصب النبي ﷺ من السيدة زينب ولداً ، وقد كانت السيدة زينب رضي الله عنها من أتم نساء قريش وكانت تعتز كثيراً بجمالها ونسبها الرفيع ، حتى لقد أُثِرَ عنها أنها قالت : (أنا سيدة أولاد عبد شمس) ، وقد أسلمت زينب وهاجرت مع أخيها عبد الله بن جحش رضي الله عنهما[1].

وأما زيد بن حارثة ﷺ فهو الصحابي الجليل أبو أسامة زيد بن حارثة ابن شراحيل بن كعب ، الكلبيّ القُضَاعِيّ القحطانيّ ، كان يُدْعَى زيد بن محمد ، حتى نزل قول الله تعالى : ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾[2]، فَدُعِيَ من وقتها : زيد بن حارثة .

---

(١) انظر ترجمتها في : طبقات ابن سعد ٨/ ٨٢ ، سير أعلام النبلاء ٢/ ٢١١ وما بعدها ، الإصابة في تمييز الصحابة ١٢/ ٢٧٥ ، الأعلام ٣/ ٦٦ .

(٢) أول الآية ٥ من سورة الأحزاب .

وكان من شأن زيد – كما روت كتب السير والتراجم – أنه أصيب في نَهْبٍ ، وهو ابن ثمان سنين تقريباً ، وقُدِمَ به ليُبَاع في سوق عكاظ ، وقد كان حكيم بن حزام بن خويلد انطلق إلى عكاظ يتسوق بها ، فأوصته عمته – السيدة خديجة بنت خويلد – أن يشتري لها غلاماً عربياً ظريفاً إنْ وَجَدَ ، فلما قدم حكيم سوق عكاظ وجد زيداً يُبَاع ، فأعجبه فاشتراه ، وقَدِمَ به على عمته ، وقال لها : إن أعجبك فخذيه ، وإلا فدعيه فإنه قد أعجبني ، فلمَّا رأته السيدة خديجة أعجبها فأخذته .

ولَّما تزوج رسول الله ﷺ السيدة خديجة – وزيد عندها – أعجب النبي ﷺ ظرف زيد ، فاستوهبه من زوجته ، فقالت : أهبه لك فإن أردت عتقه فالولاء لي ، فأبى ﷺ عليها ذلك ، فأوهبته له إن شاء أعتق ، وإن شاء أمسك ، وشب زيد في كنف النبي ﷺ وتعلَّق به تعلقاً شديداً .

وكان أهل زيد يبحثون عنه ، وقد جزعوا عليه أشد الجزع ، وتألموا على فراقه أعظم الألم ، وجَدُّوا في البحث عنه في كل مكان ، حتى قال أحدهم ، ولعله أبوه :

بَكَيْتُ عَلَى زَيْدٍ وَلَمْ أَدْرِ مَا فَعَلْ أَحَيٌّ فَيُرْجَى أَمْ أَتَى دُونَهُ الأَجَلْ

ولسبب أو لآخر علم أهل زيد مكانه في مكة ، فانطلق والد زيد مع بعض أقاربه ومعهم مال كثير ، حتى جاءوا مكة لافتداء زيد ، وكان ذلك قبل البعثة

المحمدية .

وصل أقارب زيد إلى رسول الله ﷺ عند البيت العتيق ، وطلبوا منه فداء زيد ، وقال والد زيد لرسول الله ﷺ : يا ابن سيد قومه ، أنتم جيران الله ، تفكون العاني[1]، وتطعمون الأسير ، وقد جئتك في ابني زيد ، فأحسن إلينا في فدائه ، فإننا سندفع لك ما تريد .

فقال ﷺ لوالد زيد : أَوَ غير ذلك ، أعطيكم خيراً مما طلبتم ، قال : وما هو ؟ قال ﷺ أدعوه وأُخَيِّره ، فإن اختاركم فهو لكم بدون فداء ، وإن اختارني فكفوا عنه ، فوالله ما أنا بالذي اختار فداء على مَنْ اختارني ، فقالوا له : أحسنت وجزاك الله خيراً .

ودعا رسول الله ﷺ زيداً ، فلمَّا جاء زيد قال له رسول الله ﷺ يا زيد : أتعرف هؤلاء ؟ قال زيد : نعم . هذا أبي وهذا عمي وهذا أخي ، فقال له ﷺ : وأنا مَنْ قد علمت ، وقد رأيتَ صحبتي لك ، فاختر بين الذهاب معهم أو البقاء عندي .

فقال زيد : ما أنا بالذي اختار عليك أحداً أبداً ، أنت مني بمكان الأب والعم ، فقال أبوه : ويحك يا زيد ، أتختار العبودية على الحرية ، وعلى أبيك وأمك وأهل بيتك ؟ ، فقال زيد : قد رأيتُ من هذا الرجل شيئاً ما أنا بالذي

---

(١) يعني المحبوس . أفاده الصحاح ٢/ ١٥٨٥ مادة عنن .

أختار عليه أحداً ، وما أنا بمفارق هذا الرجل أبداً .

فلما رأى النبي ﷺ ذلك من زيد أخرجه إلى الحِجْرِ ونادى في الناس قائلاً : يا معشر قريش اشهدوا أن زيداً ابني يرثني وأرثه ، وهو حُرٌ .

فطابت نفس أهل زيد لما رأوا من كرامته ﷺ على زيد ، وكان ذلك قبل البعثة كما قلنا ، فلم يزل زيد يُدْعَى (زيد بن محمد) حتى نزلت الآية (ادعوهم لآبائهم...) ، فَدُعِيَ زيد بن حارثة [1].

وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه كان يقول : مَا كُنَّا نَدْعُو زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ إلا زَيْدَ بْنَ مُحَمَّدٍ ، حَتَّى نَزَلَ فِي الْقُرْآنِ : (ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله)[2].

---

(١) انظر : طبقات ابن سعد ٣/ ٢٧ وما بعدها ، السيرة النبوية لابن هشام ١/ ١٩٢ وما بعدها ، تهذيب التهذيب ٣/ ٣٥٠ وما بعدها ، الأعلام ٣/ ٥٧ ، الإصابة ١/ ٥٦٣ ، سير أعلام النبلاء ١/ ٢٢٠وما بعدها ، سنن الترمذي ، كتاب المناقب ، مناقب زيد بن حارثة ٥/ ٤٤٥ وما بعدها ، وأورده القرطبي في تفسيره ١٤/ ١٢٥، والجمل في حاشيته ٣/ ٤٣٩.

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب التفسير– من سورة الأحزاب – باب (ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله) ، حديث رقم ٤٧٨٢، وأخرجه مسلم – واللفظ له – في كتاب=

= فضائل الصحابة باب فضائل زيد بن حارثة وأسامة بن زيد ، برقم ٢٤٢٥.

صحيح البخاري بشرحه فتح الباري ٨/ ٣٧٧ ، صحيح مسلم بشرح النووي ٨/ ٢٠٩.

﴿ المطلب الخامس ﴾

﴿ التفسير الصحيح للآيات والقصة ﴾

كان التَّبَنِّي من عادة العرب في الجاهلية ، فكانوا يَتَبَنَّون مِنَ الأولاد مَنْ يريدون ، وكانوا يُلْحِقُون الابن المُتَبَنَّى بالابن الصُّلْبِيِّ ، ويعطون للأول من الحقوق ما يعطونه للثاني ، كالميراث ، وحُرْمَة الزواج بزوجة الابن المُتَبَنَّى ، إذا قَضَى منها وطراً ، وقد كانت تلك العادة مستأصلة في نفوس العرب .

كما كان كبيراً عند العرب أن تتزوج بنات الأشراف وصاحبات الحسب والنسب من الموالي ، وإن أُعتقوا وصاروا أحراراً طلقاء ، فقد كان الموالي – وهم الرقيق المُحَرَّر – طبقة أدنى من طبقة السادة ، وقد كانت تلك العادة أيضاً مستأصلة في نفوسهم ، فيعظم عندهم أن تتزوج الشريفة الحرة من عبد أو مولى .

تلك كانت عادات العرب في الجاهلية ، فلمَّا جاء الإسلام بمقاصده النبيلة ، حَطَّمَ الفوارق الطبقية الموروثة بين الناس ، وبَيَّنَ للجميع أن الناس كلهم لآدم ، وأن آدم من تراب ، وأن الناس جميعاً سواسية كأسنان المشط ، لا فضل لأحدٍ على أحدٍ إلا بالتقوى والعمل الصالح ، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ

خَبِيرٌ ﴾ [1].

وعمل رسول الله ﷺ جاهداً على إزالة الفوارق التي تقوم بين الناس على أساس من العصبية وحَمِيَّة الجاهلية ، وتعامل ﷺ مع الناس بمبدأ المساواة .

كما كان من مقاصد الإسلام أيضاً التي جاء بها - وأراد أن يقررها بين الناس - القضاء على عادة التَّبَنِّي ، وما يتبعها من إجراء الأحكام الخاصة بالابن من الصلب على الابن من التبني ، ومنها القضاء على حُرْمَة الزواج بزوجة الابن المُتَبَنَّى .

إذاً أراد الإسلام تقرير مبدأ المساواة بين الناس ، كما أراد القضاء على حرمة الزواج بزوجة الابن المُتَبَنَّى ، لأن التبني - أصلاً - حرام .

ولقد كان من الصعوبة بمكان ، أن يتم ذلك في بيئة تحكمها الحمية الجاهلية ، وتقودها العصبية القبلية ، وشاءت إرادة الله تبارك وتعالى أن يقع ذلك في البيئة النبوية ، حتى لا يبقى للناس بعد ذلك حجة ، إذا تمسكوا بموروثات الجاهلية الأولى .

فقد شاء الله أن يقضي على عادة التبني ، وقد كان الرسول ﷺ مِمَّن فعله ، وكان زيد بن حارثة يُدْعَى زيد بن محمد ، حتى نزل القرآن ونهى عن ذلك .

---

(١) الآية ١٣ من سورة الحجرات .

كما شاءت إرادة الله تبارك وتعالى أن يكون أول مولى عتيق يتزوج بامرأة عربية في الصميم من قريش هو زيد بن حارثة ، وأن تكون تلك المرأة هي زينب بنت جحش ، ابنة عمة النبي ﷺ .

كما شاءت إرادته سبحانه أن يكون أول سيد يبطل عادة حرمة الزواج بزوجة الابن المُتَبَنَّى هو رسول الله ﷺ .

وما على الناس بعد ذلك أن يقتدوا برسولهم الكريم ، عليه أتم الصلاة والتسليم ، وما على بنات الأشراف أن يتزوجن من الموالي ، وقد قبلت السيدة زينب – الحسيبة النسيبة – زواجها بزيد بن حارثة ، وما على سادات العرب أن يتزوجوا بأزواج أدعيائهم – وقد قضوا منهن وطراً – وإمام المسلمين ورسولهم وأكرم العرب ﷺ ، قد فتح لهم هذا الباب ، وتزوج حليلة متبناه ، بعد ما قضى منها وطراً ، وكل هذا ما أراده الله تعالى ، وقد كان ...

فزيد رضي الله عنه يبلغ سن الزواج ، ورسول الله ﷺ يريد أن يزوجه مَنْ يرضاها له زوجة ، وقد وقع اختيار النبي ﷺ على زينب بنت جحش ، إحدى قريباته ﷺ ، فهي ابنة عمته ، وهو ﷺ يعرفها – من طفولتها – حق المعرفة ، فاختارها رسول الله ﷺ لابنه المُتَبَنَّى ، ورغب ﷺ في أن يزوجها لزيد .

ذهب رسول الله ﷺ يخطب زينبَ لزيد ، لكن زينب كرهت ذلك ، ورفضت هذا الزواج ، وقالت : لا أتزوجه أبداً وأنا سيدة أبناء عبد شمس

وكره أخوها عبد الله بن جحش أن تزف الحسيبة النسيبة الحرة إلى مولى من الموالي ، رغم أن النبي ﷺ حدثهما عن زيد وما له عنده من منزلة مرموقة ومكانة سامية ، لكن زينب رغبت عن هذا الزواج ، فلم تر في زيد صورة الرجل الذي تتمناه وتطمح نفسها إليه ، فتأبى زينب هذا الزواج ، ويأبى أخوها ذلك أيضاً ، اعتزازاً بما لأسرة زينب من مكانة ، فهي من ذؤابة[1] قريش.. وما زيد ؟ إنه كان عبداً ، ولو أن الرسول ﷺ أكرمه فيما بعد فأعتقه وألحقه بنسبه ، فصار يُدْعَى زيد بن محمد .

لكن رسول الله ﷺ يكرر الطلب ، وتكرر زينب وأخوها الرفض ، فتتدخل إرادة الله تبارك وتعالى ، وينزل الوحي بقوله سبحانه : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾[2].

فلم يبق من زينب وأهلها إلا الإذعان والسمع والطاعة لأمر الله ورسوله.

رُوِي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ انطلق ليخطب على فتاه زيد بن حارثة رضي الله عنه ، فدخل على زينب بنت جحش الأسدية رضي الله عنها فخطبها ، فقالت : لست بناكحته ، فقال رسول الله ﷺ : (بل فانكحيه) ، قالت

---

(١) الذُّؤَّابَة من كل شيء : أعلاه ، المعجم الوجيز / ٢٤٢ مادة ذؤب .

(٢) الآية ٣٦ من سورة الأحزاب .

يا رسول الله : أؤامر في نفسي ! ؟

فبينما هما يتحدثان أنزل الله هذه الآية على رسول الله ﷺ : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ ... ﴾ الآية ، قالت : قد رَضِيتهُ لي يا رسول الله منكحاً قال رسول الله ﷺ : (نعم) ، قالت : إذا لا أعصي رسول الله ﷺ ، قد أنكحته نفسي[1].

لم تجد زينب بُدَّاً من الانصياع لأمر الله ورسوله ، فتزوجت من زيد امتثالاً واستجابة لهذا التوجيه الإلهي ، رضيت زينب بهذا الزواج وفي نفسها غضاضة ، لكنها أدَّت حق السمع والطاعة ، وأخوها كذلك .

تم الزواج إذاً ، وتم لرسول الله ﷺ ما أراد ، من تذويب الفوارق الاجتماعية والطبقية ، وقرر رسول الله ﷺ بين الناس مبدأ المساواة بشيء عمليّ ، ودخل زيد بزينب .

لكن الحياة الزوجية بينهما لم تكن سعيدة هانئة ، بحيث تسودها المودة والرحمة ، بل كانت حياة مفعمة بالمنغصات ، مليئة بالأكدار والشوائب ، فما نسيت زينب أنها الحرة بنت الحسب والنسب ، ولا استساغت أن تكون تحت مولى كهذا ، مهما كان شأنه ، حتى وإن كان يدعى ابن محمد ﷺ ، فلم تستطع زينب أن تتلاءم أو تتواءم مع هذه الحياة الزوجية وهي لا تجد في قلبها أيَّ ميل لزيد .

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/ ٤٧٠ .

ووجد زيد من زينب تعاظماً وحِدَّةً ، وحرماناً من العطف والتقدير ، فثارت رجولته ، وحدا به ذلك أن يأتي رسول الله ﷺ شاكياً له ترفع زينب وتعاليها ، ويفصح لرسول الله ﷺ عن رغبته في فراق زوجه زينب ، وهو يستشير الرسول ﷺ في ذلك ، ورسول الله ﷺ يقول لزيد : (أمسك عليك زوجك واتق الله) ، ويتدخل الرسول بين الحين والحين لإصلاح ذات البين ، لكن دون جدوى .

أخرج البخاري وغيره عن أنس بن مالك ﷺ قال : جاء زيد يشكو ، فجعل رسول الله ﷺ يقول : (اتق الله وأمسك عليك زوجك)[1] .

وفي رواية الترمذي عن أنس ﷺ قال : نزلت هذه الآية (وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس) في شأن زينب بنت جحش ، جاء زيد يشكوا ، فهمَّ بطلاقها ، فاستأمر النبي ﷺ ، فقال النبي ﷺ : (أمسك عليك زوجك واتق

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد ، باب (وكان عرشه على الماء) ، برقم ٧٤٢٠ .
صحيح البخاري بشرحه فتح الباري ١٣/ ٤١٥ .
وأخرجه أحمد في مسند أنس بن مالك ، برقم ١٢٤٥٠، المسند ١٠/ ٤٨٤ .
وأخرجه الحاكم في كتاب التفسير ، برقم ٣٥٦٣ وصححه ، ووافقه الذهبي في التلخيص ، قال : على شرط البخاري ومسلم ، المستدرك ٢/ ٤٥٢ .

الله)[1].

وفي تلك الظروف نزل القرآن الكريم بإبطال عادة التبني ، وما يترتب عليها من آثار ، تلك العادة التي كانت ضاربة بجذورها في أعماق المجتمع العربي الجاهلي .

نزل الوحي على رسول الله ﷺ بقوله تعالى : ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّـَٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ
فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾﴾[2].

وكان جبريلُ – عليه السلام – قد أخبر النبيَّ ﷺ بأن زينب ستكون زوجة له ، وسيبطل الله تعالى بزواجه ﷺ منها ما درج عليه الناس من تحريم الزواج بزوجة الابن المُتَبَنَّى .

---

(١) أخرجه الترمذي بسنده – عن حماد بن زيد عن أنس – في كتاب التفسير ، من سورة الأحزاب ، برقم ٣٢٢٣ ، وقال : هذا حديث حسن صحيح ، سننه ٥/ ١٤٥ .

(٢) الآيتان ٤ ، ٥ من سورة الأحزاب .

ومما يدل على ذلك ما روي عن علي بن زيد بن جدعان أنه قال : قال لي عليّ بن الحسين بن عليّ رضي الله عنهم : ما يقول الحسن رضي الله عنه في قوله تعالى (وتخفي في نفسك ما الله مبديه) ؟ فقلت له ...، فقال لا ولكن الله أعلن نبيه ﷺ أن زينب رضي الله عنها ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها ، فلمَّا أتاه زيد رضي الله عنه يشكوها إليه قال : (اتق الله وأمسك عليك زوجك) ، فقال قد أخبرتك أني مزوجكها (وتخفي في نفسك ما الله مبديه)[1] .

ومع أن الله تعالى قد أعلم نبيه ﷺ ذلك عن طريق الوحي ، إلا أن الأمر شَقَّ على رسول الله ﷺ – حسب طبيعته البشرية – وخشي ﷺ من قول أهل السوء فيه ، وخاف ﷺ من وقع ذلك على نفوس الناس ، ووجد في نفسه غضاضة أن يأمر زيداً بطلاق زينب ، فيتزوجها مِنْ بعده ، فتشيع المقالة بين الناس ، إن محمداً ﷺ تزوج حليلة ابنه ، وبذلك يصير عرضة للقيل والقال – من أعدائه والذين يتربصون به – وهو ﷺ في طريق دعوته إلى ربه أحوج ما يكون إلى

(1) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٣/ ٤٦٦ ، باب ما جاء في تزويج رسول الله ﷺ بزينب بنت جحش ، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٦١٥ ، والحافظ ابن كثير في تفسيره ٣/ ٤٧٢، وذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري ٨/ ٣٨٤ ، وذكره غير واحد من المفسرين كالقرطبي في تفسيره ١٤/ ١٢٣ ، وأبي حيان في البحر ٨/ ٤٨١ ، والألوسي في تفسيره ٢١/ ٣٥ ، والجمل في حاشيته ٣/ ٤٣٨ .

تأييد المؤيدين ، وعدم إرجاف المرجفين .

فهذا المقدار من خشية الناس ، حتى أخفى ما أخبره الله به – وهو نكاح زينب بعد طلاق زيد لها – هو ما عاتبه الله عليه في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾ .

والآية خطاب للرسول ﷺ ، والمعنى : اذكر يا محمد وقت أن قلت (لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ) بالهداية للإسلام ، ودفعه إليك يا محمد لتفعل معه ما فعلت، وقيل : أنعم الله عليه بصحبتك يا محمد ومودتك ، (وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ) بالإحسان إليه والعتق والتحرير من العبودية ، وحسن التربية ، وتخصيصه بالتبني ، وهو زيد بن حارثة رضي الله عنه . (أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ) أي أمسك زينب بنت جحش في عصمتك ولا تطلقها[1]، وهو أمر ندب لا وجوب ، ذلك أنها كانت ذا حدَّة ، ولا زالت تفخر علي زيد بشرفها ، ولا يزال يسمع منها ما يكره ، فجاء زيد إلي رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إن زينب قد اشتد عليَّ لسانها ، وأنا أريد أن أطلقها ، فقال له عليه السلام : (أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ) في أمرها ،

(١) ولعله ﷺ قال ذلك لزيد اختباراً لما عنده من الرغبة فيها أو عنها ، فلما أطلعه زيد على ما عنده منها من النُّفْرَة التي نشأت من تعاظمها عليه ، أذن له في طلاقها .

وفي معاشرتها ، ولا تطلقها ضراراً وتعللاً بتكبرها واشتداد لسانها عليك [1]، وذلك منه ﷺ على سبيل الأدب والوصية ، وهو ﷺ يعلم أنه سيطلقها ، وأنه ﷺ سيتزوجها بتزويج الله إياها ، ولذلك قال بعده :

(وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ) ، عطف على (تقول) ، والمعنى : تضمر يا محمد في نفسك ما الله مظهره للناس جميعاً ، من أن زيداً سيطلق زينب ، وأنك ستتزوجها ، فالمراد بالموصول – (ما الله مبديه) – ما أوحى الله تعالى به إلى رسوله ﷺ من أن زيداً سيطلق زينب ، وأنه ﷺ سيتزوجها ، على ما روى عن عليّ بن الحسين ، وقد سبق كلامه ، وإلى هذا ذهب أهل التحقيق من المفسرين ، كالزهري والقشيري وبكر بن العلاء والقاضي أبي بكر بن العربي وغيرهم[2].

وكأنه تعالى يقول لنبيه ﷺ : لِمَ قلتَ أمسك عليك زوجك وقد أعلمتك أنها ستكون من أزواجك ، وهذا هو اللائق والأليق بحال الأنبياء ، وهو مطابق للتلاوة ، لأن الله تعالى أعلم أنه سيبدي ويظهر ما أخفاه النبي ﷺ، ولم يظهر سبحانه غير تزوجها منه ، وهذا ما عليه جمهور المفسرين[3].

وهذا دليل آخر على أنه ﷺ ما أخفى غير ما أعلمه الله تعالى به ، من أنها

---

(١) روح المعاني ٢٢/ ٣٥ .

(٢) البحر المحيط ٨/ ٤٨٢ ، روح المعاني ٢٢/ ٣٥ .

(٣) الفتوحات الإلهية ٣/ ٤٤٠ .

ستصير زوجته عند طلاق زيد لها ، لأن الله تعالى ما أبى غير ذلك ولو أخفى ﷺ غيره لأبداه الله تعالى ، (وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ) أي تستحيي من قولهم ، أو تخاف من اعتراضهم ، أو تهابوهم أن يعيروك ويقولون : تزوج محمد حليلة ابنه ، والمراد إنما هو إرجاف المنافقين بأنه نهى عن تزوج نساء الأبناء ، وتزوج هو بزوجة ابنه .

والحال أن الله تعالى قد ألغى التبني وما ترتب عليه من آثار ، وأنت يا محمد مُكَلَّفٌ بتبليغ ذلك عَمَلِيَّاً للناس ، (وَٱللَّهُ) وحده (أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ) في كل أمر ، فتفعل ما أباحه الله لك وأذن لك فيه ، وأن تجهر يا محمد بما أوحاه الله إليك ، من أنك ستتزوج بزينب بعد أن يطلقها زيد ، فكان الأولى بك يا محمد والأفضل لك أن تشير على زيد بطلاق زينب لا بإمساكها ...

وكثرت شكوى زيد من زينب لرسول الله ﷺ ، وكلما استأذن زيدٌ رسولَ الله ﷺ في طلاق زينب قال له ﷺ :(أمسك عليك زوجك واتق الله) فيمتثل زيد لتوجيهات رسول الله ﷺ .

لكنه لا يجد من زينب إلا الصدود والإعراض ، حتى ضاق صدره ، وعيل صبره ، وعزم على طلاقها ، بعد أن استيقن أن حياتها الزوجية

لن يصفو كدرها ، ولن يستقر حالها .

وهنا أذن رسول الله ﷺ لزيد في طلاق زوجه ، فطلقها زيد ، وهذا معنى

قوله تعالى : (فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا) ، أي لَمَّا قضى زيد حاجته من نكاحها ، ولم يبق له فيها أرب ، وتقاصرت همته ، وطابت عنها نفسه ، وطلقها برغبته الكاملة ، وانقضت عدتها ، زوجناك إياها يا محمد ، فجعلناها زوجة لك ، بلا واسطة – أصالة أو وكالة –.

والوطر على ما قيل : كل حاجة للمرء له فيها هِمَّة ، وفسره ابن عباس رضي الله عنهما بالجماع ، قال : أي بلغ ما أراد من حاجته ، يعني الجماع ، وفسره قتادة بالطلاق ، والمعنى : لما قضى زيد حاجته منه وطلقها زوجناكها ، ففي الكلام إضمار[1].

ولذلك كانت السيدة زينب رضي الله عنها تتفاخر على ضرائرها بقولها : (زوجكن أهليكن وزوجني الله تعالى من فوق سبع سماوات)[2] .

وقوله تعالى : ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ نص صريح قاطع ودليل آخر ظاهر ، وبرهان قاطع على أن الذي أخفاه رسول الله ﷺ هو العلم بالزواج بزينب بعد تطليق زيد لها ، تنفيذاً لأمر الوحي ، لا ما ادَّعَاه الأفاكون على النبي ﷺ كذباً وبهتاناً من حبه أو عشقه لزينب ، كما يزعم المبطلون .

---

(١) تفسير القرطبي ١٤/ ١٢٦ ، والفتوحات الإلهية ٣/ ٤٤٠ .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد ، باب (وكان عرشه على الماء) ، برقم ٧٤٢٠.
صحيح البخاري بشرحه فتح الباري ١٣/ ٤١٥ .

ذلك أنه لو كان الذي أخفاه ﷺ وأضمره محبة زينب ، أو إرادة طلاقها ، لكان أظهر ذلك ، لأنه لا يجوز أن يخبر أنه يظهره ثم يكتمه فلا يظهره

فدل ذلك على أنه إنما عوتب على إخفاء ما أعلمه الله تعالى إياه ، من أنها ستكون زوجة له ، وإنما أخفاه ﷺ استحياءً أن يقول لزيد : إن التي تحتك وفي عصمتك ونكاحك ستكون زوجتي ، قال البغوي : وهذا هو الأوْلى والأليق [1] .

ثم بَيَّنَت الآيات السبب الباعث على هذا الزواج ، وهو أنه كان لأمر تشريعيٍّ صحيح ، فقال تعالى : ﴿ لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ ﴾ يعني : لئلا يكون في تشريع الله على المؤمنين ضيق ومشقة وتأثم في حق تزوج مطلقات الأبناء من التبني ، ﴿ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ﴾ أي إذا طلقهن الأدعياء وانقضت عدتهن ، فإن لهم في رسول الله ﷺ أسوة حسنة .

ومما يؤكد هذا السبب الباعث على الزواج : الجمع بين اللام وكي في قوله تعالىٰ : ﴿ لِكَيْ ﴾ ، وذلك للتوكيد على التعليل ، كأنه يقول : ليست العلة غير ذلك ، والله أعلم بأسرار كتابه .

﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ أي : وكان وحي الله إليك يا محمد بتزوج زينب قدراً مقدوراً ، وكائناً محتوماً لا محالة ، والله غالب على أمره ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، فالجملة اعتراض تذييلي مقرر لما قبله من تزويج زينب رضي

(١) الفتوحات الإلهية ٣/ ٤٤٠ .

الله عنها[1] .

فلما انقضت عدة زينب أرسل رسول الله ﷺ زيداً ليخبطها له .

جاء في صحيح مسلم عن أنس ﷺ قال : لَمَّا انقضتْ عِدَّةُ زينب قال رسول الله ﷺ لزيد : (فاذْكُرْهَا عَلَيَّ)[2]، قَالَ : فَانْطَلَقَ زيدٌ حَتَّى أَتَاهَا وهي تُخَمِّرُ عَجِينَهَا . قَالَ : فَلَمَّا رَأَيْتُهَا عَظُمَتْ فِي صَدْرِي ، حَتَّى مَا أستطيعُ أنْ أنْظُرَ إليها[3] ، أنَّ رَسُولَ الله ﷺ ذَكَرَهَا[4]، فَوَلَّيْتُهَا ظَهْرِي ، وَنَكَصْتُ[5]

---

(1) روح المعاني ٢٢/ ٣٨ .

(2) يعني : فاخطبها لي من نفسها ، وفيه دليل على أنه لا بأس أن يبعث الرجل لخطبة المرأة من كان زوجها ، إذا علم أنه لا يكره ذلك ، كما كان حال زيد مع رسول الله ﷺ ، قاله الإمام النووي في شرحه للحديث ٥/ ٢٤٧ .

وقال ابن حجر في الفتح ٨/ ٣٨٥ : وهذا أيضاً من أبلغ ما وقع في ذلك ، أن يكون الذي كان زوجها هو الخاطب ، لئلا يظن أحد أن ذلك وقع منه قهراً بغير رضاه ، وفيه أيضاً اختبار ما كان عنده منها ، هل بقي منه شيء أم لا .

(3) معناه أنه هابها من أجل إرادة النبي ﷺ تزوجها ، فعاملها معاملة مَنْ تزوجها ﷺ في الإجلال والإعظام والمهابة .

(4) قوله (أنَّ رسول الله ذكرها) ، أي من أجل ذلك .

(5) أي رَجَعْتُ ، وكان جاء إليها ليخطبها ، وهو ينظر إليها ، على ما كان من عادتهم ، وهذا قبل نزول الحجاب ، فلمَّا غلب عليه الإجلال تأخَّرَ وخطبها وظهره إليها ، لئلا يسبقه

عَلَى عَقِبي ، فَقُلْتُ : يَا زينب ! أرْسَلَ رَسُولُ الله ﷺ يَذْكُرُكِ . قَالَتْ : مَا أَنَا بِصَانِعَةٍ شَيْئاً حَتَّى أُوَامِرَ رَبِّي[1]. فَقَامَتْ إلى مَسْجِدِهَا[2]. وَنَزَلَ الْقُرْآن[3] ، وَجَاءَ رَسُولُ الله ﷺ فَدَخَلَ عَلَيْهَا بِغَيْرِ إذْنٍ[4] ، قال[5] : وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ أَطْعَمَنَا الْخُبْزَ وَاللَّحْمَ حِينَ امْتَدَّ النهارُ .

وفي رواية عن أنس رضي الله عنه قال : مَا رَأَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ أَوْلَمَ عَلَى امْرَأَةٍ [6] مِنْ نِسَائِهِ ، أَكْثَرَ أَوْ أَفْضَلَ مِمَّا أَوْلَمَ عَلَى زَيْنَبَ ، فَإِنَّهُ ذَبَحَ شَاةً ....الخ [7].

وبعد : فتلك كانت قصة زواج النبي ﷺ بالسيدة زينب بنت جحش رضي الله عنها ، كما ذكرها القرآن الكريم ، وروتها كتب التفسير والحديث

= النظر إليها .

(1) تعني صلاة الاستخارة ، ولعلها استخارت لخوفها من التقصير في حق النبي ﷺ فتأثم .

(2) يعني موضع صلاتها من بيتها .

(3) يعني قوله تعالى : (فلما قضى زيد... الآية) .

(4) لأن الله تعالى زَوَّجَهُ إياها بهذا القرآن الذي نزل .

(5) يعني أنس – راوي الحديث – رضي الله عنه .

(6) وفي رواية : (أَوْلَمَ على شيء) .

(7) أخرجه مسلم في كتاب النكاح ، باب زواج زينب بنت جحش ، برقم ١٤٢٨ .
صحيح مسلم بشرح النووي ٥/ ٢٤٣ وما بعدها .

الشريف والسيرة النبوية والتاريخ الإسلامي .

وقد ظهر من خلال ما ذكرناه أن هذا الزواج لم يكن بإرادة النبي ﷺ ، ولم يدفع إليه ميل أو عاطفة ، إنما تم هذا الزواج لهدم بعض العادات التي كانت سائدة عند العرب في ذلك الوقت ، فقرر الوحي بهذا الزواج مبدأ المساواة بين الناس ، وأبطل به عادة التبني ، وما يترتب عليه من آثار ، وخاصة تحريم الزواج بزوجة الابن المُتَبَنَّى .

ولم يبق بعدما ذُكِرَ أثر لهذه الأقاصيص الباطلة ، وتلك الأخبار الواهية ، التي يكررها أعداء الإسلام ، من أنَّ الرسول ﷺ رأى زينب في مفاتنها فأعجبه حسنها ، وبهره جمالها ، وقال : سبحان مقلب القلوب .

يقول الدكتور محمد أبو شهبة رحمه الله :

وقد نسج المستشرقون والمبشرون – أعداء الدين – من تلك الروايات المختلقة الواهية ثوباً من الكذب والخيال ، وصوروا السيدة زينب وقد رآها النبي ﷺ الطاهر ، كما يصور الشباب الطائش إحدى غادات المسرح ، وطعنوا في غير مطعن ، فالروايات ليس لها أساس من الصحة ، فبناؤهم على غير أساس .

يقول الدكتور هيكل[1] :

ويطلق المبشرون والمستشرقون لخيالهم العنان حين يتحدثون عن تاريخ

(١) حياة محمد/ ٣٠٨ ، والكلام ما زال لأبي شهبة رحمه الله .

محمد ﷺ في هذا الموضوع ، حتى ليصور بعضهم زينب ساعة رآها النبي ﷺ وهي نصف عارية أو تكاد ، وقد انسدل ليل شعرها على ناعم جسمها ، الناطق بما يكنه من كل معاني الهوى .

وليذكر آخرون : أنه حين فتح باب بيت زينب لعب الهواء بأستار غرفة زينب ، وكانت ممدودة على فراشها في ثياب نومها ، فعصف منظرها بقلب هذا الرجل الشديد الولع بالمرأة ومفاتنها ، فكتم ما في نفسه ، وإن لم يطق الصبر على ذلك طويلاً ! !

وأمثال هذه الصور التي أبدعها الخيال كثير ، تراه في موير وفي دِرْمِنْجِم وفي وَاشِنْطُنْ أرْفنْج وفي لامنس ، وغيرهم من المستشرقين والمبشرين ، أ.هـ[1].

(١) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير/ ٣١٦ .

﴿ المطلب السادس ﴾

﴿ افتراءات الخصوم حول القصة والرد عليها ﴾

لقد استغل خصوم الإسلام ومرضى القلوب – من المبشرين والمستشرقين خاصة – حادثة زواج النبي ﷺ بالسيدة زينب بنت جحش رضي الله عنها وما ورد فيها من روايات لا أصل لها ، للطعن في صاحب الرسالة ﷺ .

فنسجوا من القصة والروايات ثوباً من الكذب والتضليل والخيال ، وأطلقوا العنان لأقلامهم حتى صَوَّروا النبي الكريم ﷺ بالرجل الشهوانيِّ ، الذي استحوذ على قلبه وكيانه جمال النساء ، ومظاهر الزينة ومتع الحياة الدنيا ، كما قلنا سابقاً ، وهذه نماذج من أقوالهم .

١– يقول المستشرق (إميل درمنجم) :

شعر محمد في العقد الأخير من عمره بميل كبير إلى النساء ، ودخل محمد ذات يوم بيت زيد بن حارثة بعد الفراغ من غزوة بني النضير ، وكان زيد في ذلك اليوم غائباً عن بيته ، فوجد محمد نفسه تجاه زوجة زيد (زينب بنت جحش) ، التي كانت أجمل فتيات قومها ، وكانت زينب هذه آنذاك سافرة وشبه عارية ، وعاملة على زينتها وإدارة بيتها ، فأثر هذا الجمال السافر الغض الفياض في نفس النبي فقال : (سبحان مقلب القلوب) ، ولم ينطق بغير هذه الكلمة ، وانصرف حالاً ، قَصَّتْ زينب ما رأت على زوجها زيد فارتبك كثيراً ، وكان زيد

المخلص لمحمد – المنعم عليه – يعلم مزاجه المتقد وبدا الوضع محيراً للغاية ،[1].

٢– ويقول الدكتور جوستاف لوبون – بعد أن أثنى على النبي ﷺ – :

وضعف محمد الوحيد هو حبه الطارئ للنساء ، وهو الذي اقتصر على زوجته الأولى ، حتى بلغ الخمسين من عمره ، ولم يخْفِ محمد حبه ، فقد قال : (حبب إليَّ من دنياكم ثلاث : الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة)[2] .

ولم يبال محمد بسن المرأة التي يتزوجها ، فتزوج عائشة وهي بنت عشر سنين ، وتزوج ميمونة وهي في الحادية والخمسين من سنها ، وأطلق محمد العنان لهذا الحب حتى أنه رأى اتفاقاً زوجة ابنه بالتبني وهي عارية ، فوقع في قلبه منها شيء ، فَسَرَّ حَهَا ليتزوجها محمد ، فاغتم المسلمون ، فأوحي إلى محمد بواسطة جبريل – الذي كان يتصل به يومياً – آيات تسوغ ذلك ، وانقلب الانتقاد إلى

---

(١) حياة محمد لدرمنجم/ ٢٩٩، ومع المفسرين والمستشرقين للدكتور زاهر الألمعي/ ٢٣.

(٢) أخرجه الحاكم في كتاب النكاح برقم ٢٦٧٦ عن أنس ، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي في التلخيص ، المستدرك ٢/ ١٧٤ ، وأخرجه النسائي في كتاب عشرة النساء ، باب حب النساء ، عن أنس ﷺ ، سنن النسائي ٧/ ٦١ .

قلت : كلاهما بدون لفظ (ثلاث) ، ولقد أنكر جماعة من العلماء هذا اللفظ ، ومنهم ابن حجر القائل : ليس في شيء من طرقه لفظ (ثلاث) ، وزيادة (ثلاث) تفسد المعنى، إذ لم يذكر بعدها إلا الطيب والنساء . الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف/ ٣٨٠١.

سكوت[1].

٣- ويقول مونت جومري وات :

وقد ذهبت زينب إلى المدينة مع إخوتها ، وزَوَّجَهَا محمد بالرغم عنها ، من ربيبه زيد بن حارثة ، وقد ذهب محمد فيما بعد – حوالي السنة الرابعة للهجرة – إلى بيت زيد للتحدث إليه ، وكان زيد غائباً ، فشاهد زينب وهي عارية ، فأحبها كما يقولون لتوه ، فمضى وهو يقول لنفسه : (سبحان الله مقلب القلوب)[2].

٤- ويقول فرانتس بول :

إن محمداً يبدو لنا في صورة مثيرة للاشمئزاز ، حين يجعل الوحي في خدمة شبقه الجنسي ، ومحاولة نفي التهمة عنه هي محاولة جزئية بدون أمل ، ويؤكد زعمه هذا بحب محمد زوجة ابنه بالتبني ، وهي زينب بنت جحش[3].

٥- ويقول أدمون باور :

إن الرسول أعفى نفسه من الالتزام بحرمة زواج المحارم ، حيث تزوج زوج ابنه بالتبني[4].

إلى غير ذلك من النزعات المنحرفة ، والتي نراها واضحة في مثل أقوال : اشبرنجر، وسير موير، وتور أندريه ، وبروكلمان ، ومرج ليوث ولامنس ، وأر

---

(١) حضارة العرب لجوستاف لوبون/ ١١٢ ، ترجمة عادل زعيتر ، ومع المفسرين والمستشرقين ، صفحة ٢٤.

(٢) محمد في المدينة لمونت جومري وات/ ٥٠٢ ، ترجمة شعبان بركات ، ومع المفسرين والمستشرقين صفحة ٢٤.

(٣) دفاع عن محمد ، للدكتور عبد الرحمن بدوي/ ٧٣ .

(٤) مصدر القرآن للدكتور إبراهيم عوض/ ٦٢.

فنج واشنطن ، وغيرهم.

ويتلخص الرد على تلك المزاعم المنحرفة والافتراءات الباطلة والادعاءات الكاذبة فيما يأتي :

أولاً : تناقض هذه الافتراءات مع أخلاق الرسول ﷺ والنبوة .

فلقد كانت حياة النبي ﷺ في صغره وشبابه وكهولته نموذجاً حياً لكل كمال بشري ، حتى إن ربه سبحانه وصفه في القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [1].

والتاريخ خير شاهد على أن حياة الرسول ﷺ – حتى قبل البعثة – كانت آية بينة وعلامة بارزة على حسن خُلُقه وطهارة نفسه وعفة ضميره .

يقول الدكتور محمد أبو شهبة :

فحياة رسول الله ﷺ من صباه إلى كهولته إلى أن توفي ترد هذه الفرية . فحياته – ﷺ – لم تكن حياة حب واستهتار ، ولا عُرِفَ عنه أنه كان زير نساء ، ولا صريع الغواني ، وإنما كانت حياة الشرف والكرامة ، ما عرفت الدنيا أطهر ذيلاً منه ، ولا أعف منه ، ولا لمست يده قط يد امرأة لا تحل له بشهوة ، وكيف يكون على هذا الحال الذي افتروه مَنْ خاطبه مَنْ يعلم السر وأخفى بقوله تعالى : (وإنك لعلي خلق عظيم) ، ولو كان رسول الله ﷺ صاحب هوى أو غرام ، لأشبع رغبته وهو في ميعة الصبا وشرخ الشباب ، أيام أن كان الغيد الكواعب من بنات الأشراف تشرئب أعناقهن إلى أن يكن حليلات له ، ولكنه قضى شبابه مع سيدة تزيد على الأربعين ، ورضيها زوجاً له ، حتى توفاها الله ، ومهما قيل في جمالها فهناك غيرها من الأبكار الشابات مَنْ يفقنها في الجمال ، وللأبكار ما لهن

---

(١) الآية ٤ من سورة القلم .

مِنْ جاذبية وروعة ، ومَنْ قضي بغير ذلك فقد خالف سنة الله في الفطرة ، واتبع شواذ العادات ، أ.هـ[1].

قلت : لو كان النبي ﷺ شهوانياً – كما يقولون – لَمَا تزوج بالسيدة خديجة رضي الله عنها ، وكانت تكبره بخمس عشرة سنة ، وكان ﷺ في الخامسة والعشرين من عمره المبارك ، وهي سن تميل فيها نفس الشباب إلى المتعة بالأبكار ، ومع ذلك تَزَوَّجَ ﷺ بالسيدة خديجة وهي في سن الأربعين ، وظل معها وحدها ، ولم يتزوج عليها ، حتى توفيت رضي الله عنها ، وهو ﷺ فوق الخمسين من عمره الشريف .

ولو كان النبي ﷺ شهوانياً لما تزوج بنساء أرامل وكبيرات في السن ، كالسيدة سودة بنت زمعة ، التي كانت امرأة عجوزاً ، لا حَظَّ لها من الجمال ، وكذا السيدة ميمونة ، التي تزوجها الرسول ﷺ وهي في الحادية والخمسين من عمرها .

ولو كان النبي ﷺ شهوانياً لاصطفى لنفسه ما يشاء من الزوجات الصغيرات ، والنواهد الأبكار، والفاتنات الجميلات ، كي يُرضِين رغباته الجنسية ، ولكنه ﷺ لم يتزوج بكراً قط إلا عائشة رضي الله عنها ، ولم يتزوجها إلا بعد أن تجاوز الخمسين من عمره المبارك ﷺ .

ولو كان النبي ﷺ شهوانياً لما شرع الحجاب للنساء ، ولما هجر زوجاته شهراً ، ولولا نزول القرآن لزاد .

ولو كان النبي ﷺ شهوانياً – يفتعل الآيات لتحقيق أغراضه الجنسية كما يقولون – لما جلب على نفسه هذا العداء .

---

(١) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير/ ٣١٧ .

ولو كان النبي ﷺ شهوانياً لما حَدَّدَ لأصحابه الزواج بأربعة ، وقد كان التعدد – بلا حدود – أمراً مباحاً عند العرب .

أفبعد هذا يُقال : إن النبي ﷺ كان شهوانياً يميل إلى النساء ، ومتى... وهو فوق الخمسين من عمره ؟ إن هذا لشيء عجاب ! ! .

ثانياً : تعارض هذه المزاعم مع صريح القرآن الكريم .

فصريح القرآن الكريم يرد تلك المزاعم المنحرفة والاتجاهات الباطلة ، لأن القرآن قد وصف الرسول ﷺ بقوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ كما أشرنا إليه سابقاً ، ولاحظ حرف اللام وكلمة (على) التي تدل على الاستعلاء ، وصاحب الخلق العظيم ، الذي أدَّبَه ربه فأحسن تأديبه ، يستحيل أن يقع منه العشق المُحَرَّم – وبهذه الطريقة المفتراة – لامرأة أجنبية ، فضلاً عن أن تكون تلك المرأة لرجل من أصحابه ، رضوان الله عليهم ، فضلاً عن أن تكون زوجة لرجل من أهل بيته ، كان يحبه حباً شديداً ، وقد كان – منذ فترة وجيزة – ابناً له بالتبني ، ومحمد ﷺ نبي مرسل ، يعلم يقيناً ما يحل شرعاً وما يحرم .

فهذا العشق المزعوم يتنافى مع صريح القرآن في وصفه لرسول الله ﷺ بأنه على خلق عظيم ، فهل المطلوب منا أن نُصَدِّق تلك الخزعبلات ، ونُكَذِّب صريح القرآن الكريم ؟

ثم إن القرآن – من جهة أخرى – جاء واضحاً ببيان السبب الحامل على تزوج الرسول ﷺ من زينب ، وفي ذلك يقول سبحانه وتعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ﴾[1].

(1) من الآية ٣٧ من سورة الأحزاب .

فالسبب في هذا الزواج يتلخص في إسقاط الحرج عن المؤمنين من زواج أبنائهم بالتبني ، ولم يكن فيما صَرَّحَت به الآية – ولا ما يُفْهَم منها – ما يشير من قريب أو بعيد إلى أن رسول الله ﷺ كان يهوى زينب ، أو وقعت من قلبه في مكان عميق .

فقوله تعالى ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾ يعني أنه لم يبق له فيها حاجة ، فالتعبير به كناية عن الطلاق ، والعدول بهذه الكناية عن الطلاق – أعني لم يقل : فلمَّا طلقها – حتى لا يُفْهَم منه أن هذا الطلاق وقع ولزيد فيها حاجة ، أو طلقها وما زال يرغب فيها ، ولهذا أوثرت هذه الكناية في هذا الموضع على لفظ الطلاق ، لما فيها من دلالة بينة على نفي أن يكون هناك عامل ما في طلاق زيد لزينب ، إلا أن يكون فراغ حاجته منها ، وأنه لم يصبح له فيها مأرب ، ثم إنه في تلك الكناية إشارة بليغة إلى أن طلاق زيد لزينب كان برغبته واختياره .

وفي هذه الكناية دحض لما قيل إن زيداً قال لرسول الله ﷺ : لعل زينب أعجبتك ، أأفارقها ؟ وأنه قال لزينب : لعلك وقعت في قلب رسول الله ﷺ ، فهل لك أن أطلقك حتى يتزوجك .

فقضاء الوطر معناه إذاً : فراغ زيد من حاجته من نكاحها ، فطلقها ، ولم يكن في قلبه ميل إليها ، ولا وحشة من فراقها .

ثم تَنَبَّه إلى قوله تعالى (زوجناكها) أي بعد طلاق زيد ، ففي هذه العبارة تصريح واضح بأن زواج الرسول ﷺ من زينب كان بأمر إلهيّ ، ولذلك كانت السيدة زينب رضي الله عنها تتفاخر على ضرائرها بقولها : (زوجكن أهليكن وزوجني الله من فوق سبع سماوات)[1]

(1) صحيح البخاري ، وقد سبق تخريجه صفحة ٣٠ .

ومن جهة ثالثة جاء القرآن في الآيات بعتاب إلهيّ صريح للرسول ﷺ وذلك في قوله تعالى : ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾[1].

والآية بصراحتها هذه تتنافى مع مزاعم الخصوم المنحرفة ، فقد فَسَّرَ المُضِلِّون هذه العبارة بأن الذي كان يخفيه الرسول ﷺ في نفسه هو عشق زينب ، ورغبته الأكيدة في طلاقها من زيد ليتزوجها بعده ، وهذا التفسير خطأ عظيم ، وخروج بالآية عن معناها الحقيقي، وتحميل لها بما لا تحتمله .

والحقيقة أن الذي أخفاه الرسول ﷺ – كما قلنا سابقاً – هو إخبار الله تعالى نبيه ﷺ أن زيداً سيطلق زينب ، وأنك يا محمد ستتزوجها بعده ، هدماً لظاهرة التبني وتشريعا للأمة ، وقد أخفي رسول الله ﷺ ذلك على زيد مراعاة لشعوره وحياءً منه ، مع أن الله مبديه لا محالة .

ففي الآية رد بليغ على تلك المزاعم المفتراة والروايات الباطلة ، التي يزعم أصحابها أن النبي ﷺ أخفى في نفسه حب زينب وعشقه لها ، وتمني طلاق زيد لها ، لأن الذي أبداه الله تعالى بعد ذلك هو زواجه ﷺ من زينب ، ولو كان الذي أخفاه ﷺ هو الرغبة في زواج زينب ، لكان الذي أبداه الله تعالى هو ذلك الهوى والحب والعشق المُحَرَّم .

ولو سَلَّمْنَا جدلاً أن الذي كان يخفيه النبي ﷺ في نفسه هو حبه لزينب وميله إليها وعشقه لها ، فلماذا عاتبه الله تبارك وتعالى على عدم التصريح بهذا الحب وذلك الميل والعشق المحرم .

يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله : ثم لننظر إلي الآية وما يزعمون أنها

---

(١) من الآية ٣٧ من سورة الأحزاب .

تضمنته من عتاب ، إنهم يقولون : الذي كان يخفيه النبي في نفسه ، ويخشى فيه الناس دون الله، هو ميله لزينب، أي أن الله تعالى– بزعمهم– يعتب عليه عدم التصريح بهذا الميل ! !

ونقول : هل الأصل الخُلُقِيّ أن الرجل إذا أحب امرأة لغط بين الناس ، مشهراً بنفسه وبمَن أحب ، وخصوصاً إذا كان ذا عاطفة منحرفة ، جعلته يحب امرأة رجل آخر ؟

هل يلوم الله رجلاً ، لأنه أحب امرأة آخر ، فكتم هذا الحب في نفسه ؟

أكان يرفع درجته لو أنه صاغ فيها قصائد غزل ؟ هذا والله هو السفه ! !

وهذا السفه هو ما يريد بعض المُغَفَّلِين أن يفسروا به القرآن ! !

إن الله لا يعاتب أحداً على كتمان حب طائش ، وإنما سياق الواقعة كما قصصنا عليك ..

فالذي أخفاه النبي ﷺ في نفسه : تأذيه من هذا الزواج المفروض ، وتراخيه في إنفاذ أمر الله به ، وخوفه من لغط الناس ، عندما يجدون نظام التبني – كما ألفوه – قد انهار .

وقد أفهم الله نبيه ﷺ أن أمره لا يجوز أن يوقفه توهم شيء ما ، وأنه – بإزاء التكليف الأعلى– لا مَفَرَّ له من السمع والطاعة ، شأن مَنْ سَبَقَهُ من المرسلين ، أ. هـ[1].

وأما قوله تعالى : (وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه) فمعناه قد سبق بيانه ، وقد كانت تلك الخشية إشفاقاً من النبي ﷺ على الناس .

قال الطاهر ابن عاشور :

---

(١) فقه السيرة / ٤٥٥ وما بعدها .

والخشية هنا كراهية ما يرجف[1] بـه المنـافقون، فهـي خشـية كراهيـة ، لا خشية خوف ، إذ النبي ﷺ لم يكن يخاف أحداً من ظهور تزوجه بزينب ، ولم تكن قد ظهرت أراجيف المنافقين بعد ، ولكن النبي ﷺ كان يتوسم من خبثهم وسوء طويتهم ، ما يبعثهم على القالة في الناس لفتنة الأمة ، فكان ﷺ يعلم ما سيقولونه ويمتعض منه .. ولم تكن خشية تبلغ به مبلغَ صَرْفِه

عما يرغبه ، بدليل أنه لم يتردد في تزوج زينـب بعـد طـلاق زيـد ، ولكنهـا استشـعار في النفس وتقدير لما سيرجفه المنافقون ، أ. هـ[2].

هكذا إذاً يظهر التعارض الصريح والتنـاقض الواضـح بـين مـا جـاء بـه القرآن الكريم ، وما زعمه المنحرفـون في فهمهـم للآيـة الكريمـة ، ولـيس مـن العقل أن نكذب صريح القرآن الكريم أو ندعه جانباً ، من أجـل تصـديق هـذه المفتريات ، فكلام الله تعالى أصدق من كلام البشر .

ثالثًا : معرفة النبي ﷺ السابقة لزينب ترد هذه المزاعم الباطلة .

فالسيدة زينب بنت جحش رضي الله عنها من قريبات الرسول ﷺ ، ومـن أسرته ، فهي بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب ، ورسـول الله ﷺ يعـرف زينـب منذ طفولتها حق المعرفة ، وهو ﷺ الذي طيب خاطرها لترضي بزيد بن حارثة ، أبعد أن يُقَدِّمها لغيره يطمع فيها لنفسه ؟

يقول القاضي أبو بكر بن العربي رحمه الله :

فأما قولهم إن النبي ﷺ رآها فوقعت في قلبه . فباطل ، فإنه كان معها في كل وقت وموضع ، ولم يكن حينئذٍ حجاب ، فكيف تنشأ معه وينشأ معها

---

(1) أي ما يشيعونه في الناس من اتهام كاذب ، وتشكيك في الرسول ﷺ .

(2) التحرير والتنوير ٢٢/ ٣٣ بتصرف .

ويلحظها في كل ساعة ، ولا تقع في قلبه إلا إذا كان لها زوج قد وهبته نفسها ، فكيف يتجدد له هوى لم يكن ، حاشا لذلك القلب الطاهر المُطَهَّر من هذه العلاقة الفاسدة ، وقد قال الله تعالى :﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾ ﴾ أ.هـ[1].

ويقول أبو شهبة رحمه الله :

وثمة حجة دامغة تذهب بالقصة[2] من أساسها ، فالسيدة زينب هي بنت أميمة بنت عبد المطلب ، بنت عمة رسول الله ﷺ ، وقد رُبِّيَتْ على عينه وشهدها وهي تحبو ، ثم وهي شابة ، وله بحكم صلة القرابة معرفة بها وبمفاتنها ، ولا سيما والنساء كن يبدين من محاسنهن ما حرم الإسلام منه بعد ، وهو ﷺ الذي خطبها على زيد مولاه وكرر الطلب حتى استجيب له ، روى ابن مردويه عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ لزينب : إني أريد أن أزوجك زيدَ بن حارثة ، فإني قد رضيته لك ، قالت : لكني لا أرضاه لنفسي ، وأنا أيم قومي ، وبنت عمتك ، فنزلت الآية (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة) ، قالت : قد أطعتك فاصنع ما شئت .

فغير معقول – والحال كما ذكرت – ألا يكون شاهدها ، فلو كان يهواها، وأوقعت في قلبه ، فأيّ شيء كان يمنعه من زواجها ، وإشارة منه كافية لأن يقدموها له وما ملكت ؟ فمثله وهو في الذروة من قريش نسباً وخُلُقَاً وديناً ، ما

(١) الآية ١٣١ من سورة طه ، وينظر أحكام القرآن لابن العربي ٣/ ١٥٤٣ .

(٢) يعني بالقصة تلك المزاعم المنحرفة والروايات الباطلة المفتراة حول القصة .

كان يُقْدَع أَنْفُه ، أ. هـ[1].

فمعرفة النبي ﷺ السابقة لزينب خير دليل على بطلان تلك المزاعم المنحرفة ، ولو أرادها الرسول ﷺ لنفسه من البداية ما منعه من ذلك مانع لكنه لم يفعل ، فكيف يميل عن زينب رضي الله عنها وهي بكر ، ثم يميل إليها ويعشقها بعد أن صارت زوجة لغيره ، وهذا الغير هو واحد من عبيده ، أنعم عليه بالعتق والحرية ، ولو كان النبي ﷺ عاشقاً لزينب ما أجبرها على الزواج بزيد بداية ، وقد كانت أمام عينيه ، فهي بنت عمته ، ويعرفها معرفة جيدة.

رابعاً : التفسير الصحيح للآيات يرد هذه المزاعم المنحرفة .

اتضح من خلال ما ذكرناه من التفسير الصحيح للآيات القرآنية الواردة في قصة زواج النبي ﷺ بالسيدة زينب رضي الله عنها ، بعد طلاقها من زيد بن حارثة ، أن ذلك كله كان بوحي وتشريع من الله تبارك وتعالى ، فزواج زيد من زينب كان في حقيقة أمره تشريعاً ، بدلالة قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ

---

(1) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير/ ٣١٦ وما بعدها .

وقوله (ما كان يُقْدَع أَنْفُه) مثل يُضْرَب للرجل الكفء الكريم ، وأصل الْقَدْع : الكف والمنع

يقال : قَدَعَ فلاناً عن الشيء قَدْعَاً : كَفَّهُ وَمَنَعَهُ ، أفاده الصحاح ٢/ ٩٧٣ مادة قدع .

وأصل المثل : (هذا فحل لا يُقْدَع أَنْفُه) ، أي لا يضرب أنفه ، وذلك إذا كان كريماً .

والأصل فيه أن الفحل من الإبل إذا لم يكن كريماً ضربوا أنفه ودفعوه حتى يبعد عن الناقة ، فإذا كان كريماً تركوه ، فصار مثلاً (هذا الفحل لا يُقْدَع أَنْفُه) .

﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾.

فالقضاء في الآية معناه التشريع ، ومعنى الآية : ما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا شرع الله ورسوله أمراً....الخ .

على أن هذا التشريع سَيُبْنَى ويقوم عليه تشريع آخر، يباشره الرسول ﷺ بنفسه ، مع ما فيه من مشقة ، لمخالفته أعراف الناس ، وما اعتادوا عليه من جهة ، وتعرض الرسول ﷺ للانتقادات من المنافقين وذوي الاتجاهات المنحرفة من جهة أخرى .

فزواج زيد من زينب أولاً كان تشريعاً من الله تعالى ، لإبطال عادة العرب في ألا تتزوج الشريفة الحرة من العبد أو المولى ، فكان لتقرير مبدأ المساواة بين الناس ، وزواج النبي ﷺ من زينب ثانياً كان تشريعاً من الله تعالى لإبطال وهدم حرمة الزواج من زوجة الابن بالتبني ، والتي كانت سائدة عند العرب في ذلك الوقت .

فلم يكن زواج زيد بزينب بإرادة زيد أو زينب أو حتى الرسول ﷺ ،

وإنما كان بإرادة الله تبارك وتعالى ، وكذلك زواج النبي ﷺ من زينب ، لم يكن بإرادة الرسول ﷺ ، وإنما كان بإرادة الله عز وجل ، ولذلك كانت السيدة زينب رضي الله عنها تتفاخر على ضرائرها بقولها : (زوجكن أهليكن وزوجني الله من فوق سبع سماوات)[1] .

فهذا الزواج إذاً – الأول والثاني – مسألة تشريعية خارجة عن إرادة البشر جميعاً ، وعلى رأسهم الرسول الكريم ﷺ .

خامساً : قضية تعدد زوجات الرسول ﷺ شاهدة له لا عليه .

---

(١) صحيح البخاري ، وقد سبق تخريجه صفحة ٣٠ .

لقد حاول الخصوم أن يثبتوا الدوافع الجنسية للنبي ﷺ من خلال لفت الأنظار إلى قضية تعدد زوجاته ﷺ ، فقالوا إن محمداً كان رجلاً شهوانياً مولعاً بالنساء ومما استندوا إليه في هذا الزعم الباطل تعدد زوجاته ﷺ .

والحقيقة أن قضية تعدد زوجاته ﷺ بنفسها ترد هذه المزاعم المنحرفة، وهي شاهد عدل ينفي عن الرسول ﷺ ما حاول الخصوم أن يلصقوه به .

والباحث في تلك القضية يلفت نظره فيها عدة أمور ، تؤكد سلامة الرسول ﷺ مما اتهمه به الأعداء ، ومن ذلك :

قضية تعدد زوجات النبي ﷺ مسألة تشريعية خارجة عن إرادته ﷺ واختياره ، وهي من خصوصياته ﷺ دون بقية المسلمين ، وله ﷺ في هذا الشأن ما ليس لسواه من أفراد أمته ، بدليل أنه في وقت معين حَرَّمَ الله تعالى عليه الزواج بنساء جديدات ، بل ومُنِعَ حتى من استبدال زوجاته بزوجات أخريات ، وهو ﷺ الذي خاطبه ربه سبحانه بقوله تعالى : ﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ... ﴾[1] ، وكان ذلك من خصوصيات النبي ﷺ دون أتباعه .

ثم إنَّ رسول الله ﷺ قد اسْتَهَلَّ حياته الزوجية بالسيدة خديجة رضي الله عنها[2]، التي كانت تكبره بخمس عشرة سنة ، فتزوجها ﷺ وهي في سن الأربعين ، وكان ﷺ في الخامسة والعشرين من عمره المبارك ، وظل ﷺ معها وحدها إلى أن ماتت ، وهي في الخامسة والستين من عمرها ، وكان ﷺ قد بلغ الخمسين من عمره المبارك .

---

(١) أول الآية ٥٢ من سورة الأحزاب .

(٢) انظر ترجمتها في : طبقات ابن سعد ٨/ ٥٢ ، سير أعلام النبلاء ٢/ ١٠٩ .

فلم يكن تعدد الزوجات إذاً إلا بعد أن جاوز النبي ﷺ الخمسين سنة ، وفي هذا أبلغ الرد على افتراءات الخصوم .

ثم إنه ﷺ لم يتزوج بكراً قط إلا السيدة عائشة رضي الله عنها ، ولم يتزوجها – كما قلنا – إلا بعد أن تجاوز الخمسين من عمره المبارك .

هذا وإن الباحث في قضية تعدد زوجات النبي ﷺ يقف على كثير من الدوافع الأخلاقية والمقاصد الكريمة والحِكَمِ السامية ، التي كانت وراء تزوج النبي ﷺ بكل زوجة من زوجاته .

فزواجه ﷺ من السيدتين الفاضلتين عائشة[1] وحفصة[2] رضي الله عنهما لتوكيد العلاقة بينه ﷺ وبين وَزِيرَيْهِ المُقَرَّبَيْن – الصديق والفاروق – ، ففي هذا الزواج ما فيه من التكريم لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، وتعميق المحبة وتوثيق الصلة بينهما وبين رسول الله ﷺ .

وزواجه ﷺ من السيدة سودة بنت زمعة رضي الله عنها[3] ، وكانت من المؤمنات المهاجرات ، أسلمت وهاجرت مع زوجها إلى الحبشة ، ومات زوجها بعد الرجوع من الهجرة الثانية ، فصارت وحيدة لا ناصر لها ولا مُعِين ، ولو عادت إلى أهلها – بعد وفاة زوجها – لعَذَّبُوهَا وفتنوها في دينها ، فبادر ﷺ إلى

(١) انظر ترجمتها في : طبقات ابن سعد ٨/ ٥٨ ، سير أعلام النبلاء ٢/ ١٣٥ ، تهذيب التهذيب ١٢/ ٤٣٣ .

(٢) انظر ترجمتها في : طبقات ابن سعد ٨/ ٨١ ، سير أعلام النبلاء ٢/ ٢٢٧ ، تهذيب التهذيب ١٢/ ٤١١ .

(٣) انظر ترجمتها في : طبقات ابن سعد ٨/ ٥٢ ، سير أعلام النبلاء ٢/ ٢٦٥ ، تهذيب التهذيب ١٢/ ٤٢٦ .

نكاحها ، رحمة بها ، ورأفة بشأنها ، وتكريماً لصدق إيمانها وإخلاصها وتضحياتها .

وقد كانت السيدة سودة عجوزاً ، ولم تكن ذات جمال ، وفي ذلك أيضاً ما فيه من الدحض لمفتريات الخصوم ، الذين يزعمون كذباً أن النبي ﷺ كان شهوانياً وأن تعدد الزوجات كان لدوافع جنسية .

وزواجه ﷺ بالسيدة أم سلمة[1] رضي الله عنها ، وقد كانت من المؤمنات المهاجرات ، كانت وزوجها الأول – أبو سلمة[2]– من السابقين إلى الإسلام ، هاجرا مع العشرة الأولين إلى الحبشة ، ثم هاجرا إلى المدينة ، وقد كان أبو سلمة أول مَنْ هاجر إلى المدينة من أصحاب النبي ﷺ ، وكانت أم سلمة أول ظعينة دخلت المدينة ، ولهما قصة مشهورة في التفريق ثم الجمع بينهما في المدينة[3].

وقد كان للزوجين أربعة من الأولاد : سلمة وعمر وزينب ودُرَّة ، وقد

---

(1) وهي بنت زاد الركب، واسمها : هند بنت أبي أمية بن المغيرة ، القرشية ، المخزومية،وانظر ترجمتها في : طبقات ابن سعد ٨/ ٦٠، سير أعلام النبلاء ٢/ ٢٠١، الأعلام ٨/ ٩٨.

(2) وهو الصحابي الجليل عبد الله بن عبد الأسد بن هلال المخزومي ، أمه برة بنت عبد المطلب ، وكان أبو سلمة أخاً للنبي ﷺ من الرضاعة ، أسلم قبل أن يدخل النبي ﷺ دار الأرقم ، وقبل أن يدعو فيها . انظر ترجمته في طبقات ابن سعد ٣/ ١٧٠ ،الإصابة ٢/ ٤٨٣ تهذيب التهذيب ٥/ ٢٥٥ .

(3) حيث حدث الخلاف بين أهليهما على هجرتها إلى المدينة ، وتَحَكَّمَتْ كل قبيلة فيمن يخصها.

استشهد أبو سلمة ﷺ بعد غزوة أحد ، التي أصيب فيها بجرح ، وكان ﷺ أَمَّرَهُ على سرية إلى قطن[1]، وقاد أبو سلمة معركة ظافرة ، عاد بعدها – مع أفراد سريته – إلى المدينة سالماً غانماً ، لكن الجرح الذي أصاب أبا سلمة يوم أحد قد انتكأ ، فظل به حتى مات .

وأصبحت أم سلمة بعد ذلك أرملة ، ترعى أيتاماً لها من أبي سلمة ، وقد تقدم للزواج منها أبو بكر ﷺ فرفضته ، ثم تقدم عمر ﷺ فرفضته ، ثم أرسل النبي ﷺ إليها للزواج منها ، ومع رغبتها في هذا الشرف إلا أنها اعتذرت لرسول الله ﷺ بقولها : (إني مُسِنَّة ، ولي غَيْرَة ، ولي عيال) فقال النبي ﷺ لها : (أما أنك مسنة فأنا أكبر منك ، وأما الغيرة فيذهبها الله عنك ، وأما العيال فإلى الله ورسوله) .

فكان زواج النبي ﷺ من أم سلمة – كما يقول أبو شهبة – جبراً لكسرها ، وتعويضاً لها عن فَقْدِ عائلها ، وعرفاناً لتضحياتها وتضحيات زوجها ، ومهما قيل في أم سلمة ، وأنها كانت ذات جمال في شبابها ، فقد كان في كِبَرِ سنها ، وما مَرَّت به من أحداث جسام من الهجرة إلى الحبشة ، ثم إلى المدينة ، وما أنجبت من أولاد ، وما رُزِئَتْ[2] به في فَقْدِ الرجل الذي ما كانت تظن أن هناك مَنْ هو

---

(١) قطن : اسم جبل بناحية فَيْد ، به ماء لبني أسد بن خزيمة ، كان يسكن فيه بنو أسد ، طبقات ابن سعد ٢/ ٣٥ ، وقال في الصحاح : وقَطَنٌ : جبلٌ لبني أسد ، وفيه أيضاً : وفَيْدُ مَنْزِلٌ بطريق مكة ، أ.هـ ، الصحاح ٢/ ١٥٩٦ مادة قطن ، ١/ ٤٤٠ مادة فيد .

(٢) يعني أصيبت ، قال في الصحاح ١/ ٩٤ مادة رزأ : (الرُزْءُ : المصيبة ، والجمع :الأرزاء ، والمُرْزِئَةُ : المصيبة ، وكذلك : الرَّزِيئَة ، والجمع : الرزايا ، وقد رَزَأْتَهُ رزيئةٌ أي أصابته مصيبةٌ .

خير منه ، لقد كان في كل ذلك ما يذوي بهذا الجمال ، إن لم يذهب به ، ثم أليس في غيرها من بنات المهاجرين والأنصار الأبكار مَنْ تفوقها جمالاً وشباباً ، وثروةً ، ونُضْرَةً ؟ [1].

وزواج النبي ﷺ من السيدة أم حبيبة رضي الله عنها[2]، وهي رملة بنت أبي سفيان بن حرب وأبوها سيد قريش ، وقائدها في حرب الإسلام لسنين عديدة ، وكانت أم حبيبة رضي الله عنها من المؤمنات المهاجرات، حيث إنها أسلمت مبكراً ، وأسلم زوجها عبيد الله بن جحش ، وخرجت أم حبيبة من مكة – مع زوجها – مهاجرة إلى الله ورسوله ، تركت مكة حيث يسود أبوها وتعلو كلمته ، تركت أباها وقومها لأجل دين الله ، وهاجرت إلى الحبشة مع زوجها ، لكن الزوج فُتِنَ في دينه وارْتَدَّ عن الإسلام ، ودخل في النصرانية ، وحاولت زوجته – أم حبيبة – أن تعيده إلى رشده ، لكن دون جدوى ، أعرض الزوج عن الحق ، وآثر الكفر على الإيمان ، واختار الضلال على الهدي ، وخَيَّرَ زوجته بين الردة والطلاق ، فاختارت الزوجة الإيمان على الكفر ، وآثرت الهُدَى على الضلال ، وفضلت الطلاق على الرِّدَّة ، فطلقها زوجها وهي في بلاد غريبة ، ثم لم يلبث زوجها – عبيد الله بن جحش – أن مات على نصرانيته ، نعوذ بالله من الحور بعد الكور .

وصارت أم حبيبة وحيدة فريدة حائرة في تلك البلاد الغريبة ، لا تدري ماذا تصنع ، أتعود إلى أبيها وقومها فيعذبوها ويفتنونها في دينها ، ويشمتون بها ،

---

(١) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير/ ٣١٧ .

(٢) انظر ترجمتها في : طبقات ابن سعد ٨/ ٩٦ ، سير أعلام النبلاء ٢/ ٢١٨ .

أم تظل وحيدة في ديار الغُرْبَة والمحنة والفتنة ، وفَوَّضَتْ المرأة أمرها إلى الله تعالى ، وأثرت البقاء والمكث في ديار الهجرة ، وتَحَمَّلَتْ آلام الوحدة والغُرْبة.

وعلم النبي ﷺ بحالها ، فَرَقَّ لها وأشفق عليها ، وأراد النبي ﷺ أن يجزيها على صبرها وثباتها وتضحياتها ، فضمها ﷺ إلى زوجاته ، إعزازاً لشأنها ، وتقديراً لصنيعها ، ولم يكن هناك أجمل مما صنعه الرسول ﷺ معها .

على أن النبي ﷺ قد أرسل إلى النجاشيّ – ملك الحبشة – وَوَكَّلَهُ في أمر زواجه من أم حبيبة ، فأصدقها النجاشي وجَهَّزَهَا من عنده .

وقد ظلت السيدة أم حبيبة رضي الله عنها بأرض الحبشة – بعد زواجها من النبي ﷺ – حتى عادت مع بقية المهاجرين في السنة السابعة للهجرة ، بعد فتح خيبر ، فقد عادت رضي الله عنها مع جعفر بن أبي طالب ورفاقه ، في نفس الوقت الذي مَنَّ الله تعالى على رسوله ﷺ والمسلمين بفتح خيبر ، وهذا ما جعل الرسول ﷺ يقول في غبطة : (ما أدري بأيهما أُسَرْ : بفتح خيبر ، أو بقدوم جعفر)[1].

والتمس رسول الله ﷺ بقية صحبه ، وكانت من المهاجرات العائدات السيدة أم حبيبة رضي الله عنها – زوج النبي ﷺ – تنتظر النبي ﷺ ليحملها إلى بيته ، وقد مضى على زواجه بها بضع سنين ، مذ كانت في أرض الحبشة .

دخل النبي ﷺ بها ، وكانت رضي الله عنها تدنو من عامها الأربعين ، فكيف يكون هذا حال من أولع بالنساء ، وصار همه إشباع رغباته الجنسية ، كما يزعم المبطلون .

ولقد كان لزواج النبي ﷺ بأم حبيبة وقع طيب ، وأثر حسن في نفس أبي

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٢٣٢ .

سفيان – والد أم حبيبة – الذي قال حين بلغه خبر هذا الزواج : (هذا الفحل لا يُقْدَع أنفه)[1]، أي إنه كُفءٌ كريم .

وزواجه ﷺ من السيدة جويرية بنت الحارث رضي الله عنها[2]، سيدة بني المصطلق ووالدها الحارث بن أبي ضرار ، زعيم بني المصطلق وسيدهم ، وقد انتهت حربه مع المسلمين بهزيمة نكراء ، كادت أن توقع الذل والهوان بقبيلته (بني المصطلق) ، وقد وقع عدد كبير من بني المصطلق في الأسر عند المسلمين ، وكان من بين الأسرى سيدة بني المصطلق وبنت زعيمهم (جويرية بنت الحارث) ، وقد وقعت في سهم لثابت بن قيس أو لابن عم له ، فكاتبته على نفسها[3]، وذهبت إلى رسول الله ﷺ تسأله وتستعينه في كتابتها .

فتأثر النبي ﷺ – وهو الفارس العربي – للكريمة المُهَانَة ، والعزيزة المُسْتَذَلَّة ، واستثار شهامته موقف سيدة حرة أصيلة ، تلوذ به لتنجو من مهانة السبي وعار الرِّقِّ والعبودية ، وهو ﷺ الذي هزم والدها وقومها .

رَقَّ النبي ﷺ لتلك المرأة ، وقال لها : (فَهَلْ لَكِ إلى مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ) ؟

قالت : وما هو يا رسول الله ؟ قال ﷺ : (أَقْضِي عَنْكِ كِتَابَكِ وَأَتَزَوَّجُكِ)

فقالت وهي لا تكاد تصدق : نعم يا رسول الله ، فقال ﷺ : (قد فعلت) .

فتسامع الناس أن رسول الله ﷺ قد تزوج جويرية ، فأرسلوا ما في أيديهم

---

(1) مَرَّ أصله ومعناه صفحة ٤٥ .

(2) واسمها (بَرِيرَة) ، على ما جاء في المسند وسنن أبي داود ، فسَمَّاهَا الرسول ﷺ : (جويرية) وانظر ترجمتها في : طبقات ابن سعد ٨/ ١١٦ ، سير أعلام النبلاء ٢/ ٢٦١ ، تهذيب التهذيب ١٢/ ٤٠٨ ، سيرة ابن هشام ٢/ ٢٩٤.

(3) المكاتبة : أن يشتري العبدُ نفسه من مولاه ، ليؤدي ثمنه إليه من كسبه .

من السبي وقالوا : أصهار رسول الله ﷺ يُسْتَرَقُّونَ ؟ .

تقول السيدة عائشة رضي الله عنها : فما رأينا امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها ، أعتقت بسببها مائة أهل بيت من بني المصطلق[1].

وزواجه ﷺ من السيدة صفية رضي الله عنها[2] ، بنت زعيم اليهود حيي بن أخطب ، والتي ينتهي نسبها إلى نبي الله هارون عليه السلام .

ولقد كانت صفية – على صِغَرِ سنها[3] – قد تَزَوَّجَتْ مرتين ، فزوجها الأول سَلام بن مِشْكم القرظيّ ، أحد زعماء اليهود وقُوَّادِهم ، فلما هلك سلام تزوجت صفية بكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق النضيريّ[4].

وقد هلك أبوها وأخوها وزوجها الثاني ، في الصراع مع المسلمين .

وبعد أن فُتِحَت خيبر وقُتِلَ رجالها ، وسُبِيَ نساؤها ، كان من بين القتلى : كنانة بن أبي الحقيق (زوج صفية الثاني) وكانت صفية من بين الأسرى النساء، وقد وقعت في سهم الصحابي دِحْيَة بن خليفة الكلبي ﷺ.

جاء في صحيح مسلم عن أنس ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ غزا خيبر... إلى أن

(1) قصة زواج النبي ﷺ بالسيدة جويرية بنت الحارث . أخرجها أبو داود في كتاب العتق ،باب في بيع المكاتب إذا فسخت الكتابة ، حديث رقم ٣٩٣١ ، سننه ٤/ ٢١ . وأخرجها الإمام أحمد في المسند ٨/ ٢٠٥، من حديث السيدة عائشة رضي الله عنها برقم ٢٦٢٤٣ ، وقال الشيخ أحمد شاكر : إسناده صحيح .

(2) انظر ترجمتها في : طبقات ابن سعد ٨/ ١٢٠ ، سير أعلام النبلاء ٢/ ٢٣١ ، تهذيب التهذيب ١٢/ ٤٢٩ .

(3) فلم تكن– عند زواج النبي ﷺ بها – قد جاوزت السابعة عشرة من عمرها .

(4) ذكره ابن حجر في فتح الباري ٧/ ٥٣٦.

قال : وأَصَبْنَاهَا عُنْوَةً ، وجُمِعَ السَّبْيُ ، فَجَاءَهُ دِحْيَةُ فَقَالَ : يَا رَسُولَ الله أَعْطِنِي جَارِيَةً مِنَ السَّبْيِ ، فَقَالَ ﷺ : (اذْهَبْ فَخُذْ جَارِيَةً) فَأَخَذَ صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَيٍّ ، فَجَاءَ رَجُلٌ إلى نَبِيِّ الله ﷺ فَقَالَ : يَا نَبِيَّ الله ! أَعْطَيْتَ دِحْيَةَ صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَيٍّ ، سَيِّدِ قُرَيْظَةَ والنَّضِيرِ ؟ مَا تَصْلُحُ إلا لَكَ قَالَ : (ادْعُوهُ بِهَا) ، قَالَ : فَجَاءَ بِهَا ، فَلَمَّا نَظَرَ إلَيْهَا النبيُّ ﷺ قَالَ : (خُذْ جَارِيَةً مِنَ السَّبْيِ غَيْرَهَا) ، قَالَ : وأَعْتَقَهَا وتَزَوَّجَهَا[1].

إذاً صارت السيدة صفية رضي الله عنها زوجة للنبي ﷺ ، وقد جعل ﷺ عتقها صداقها ، ذلك أنه ﷺ دعاها وخَيَّرَهَا بين أمرين : يعتقها ويتزوجها أو يُطْلِق سراحها فتلحق بأهلها ، فاختارت أن تكون زوجة للنبي ﷺ .

وقد جاء في حديث أنس ﷺ ، أن رسول الله ﷺ لَمَّا أخذ صفية بنت حيي قال لها : هل لك فِيَّ ؟ قالت يا رسول الله : قد كنت أتمنى ذلك في الشرك ،

---

(1) أخرجه مسلم في كتاب النكاح ، باب فضيلة إعتاقه أمته ثم يتزوجها ، برقم ١٣٦٥ .صحيح مسلم بشرح النووي ٥/ ٢٣٥ ، ٢٣٦. وذكره بنحوه البخاري في كتب : الخوف،المغازي ، النكاح .

قال ابن حجر : إن دحية سأل النبي ﷺ أن يعطيه جارية ، فأذن له أن يأخذ جارية ، فأخذ صفية ، فلما قيل للنبي ﷺ إنها بنت ملك من ملوكهم ظهر له أنها ليست ممن توهب لدحية لكثرة من كان في الصحابة مثل دحية وفوقه ، وقلة من كان في السبي مثل صفية في نفاستها ، فلو خصه بها لأمكن تغير خاطر بعضهم ، فكان من المصلحة العامة ارتجاعها منه ، واختصاص النبي ﷺ بها ، فإن في ذلك رضا الجميع ، أ.هـ . فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٧/ ٥٣٧ .

فكيف إذ أمكنني الله منه في الإسلام ؟ فأعتقها النبي ﷺ وتزوجها ، وكان عتقها زواجها .

ورُوِيَ أن السيدة صفية رأت في منامها– ليلة عرسها بكنانة– أن قمراً وقع في حجرها ، فلما أصبحت عرضت رؤياها على زوجها (كنانة) فقال غاضباً : ما هذا إلا أنك تمنين ملك الحجاز محمداً ، ولطم وجهها لطمة خَضَّرَ عينها منها ، فأُتِيَ بها رسول الله ﷺ وبها أثر منه ، فسألها ما هو ؟ فأخبرته هذا الخبر[1].

يقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله عن زواج النبي ﷺ بالسيدة صفية وصفية بنت حيي ، كان أبوها ملك اليهود ، وفي الصراع بين بني إسرائيل والإسلام هلك أبوها وأخوها وزوجها ، ووقعت في سهم جندي ، لا يعرف إلا أنها أسيرة حرب ، من حقه – بملك اليمين – أن يسلك معها كيف يشاء ، فإذا رَقَّ النبي ﷺ لحالها ، ووهبها حريتها ، ثم جبر كسرها وقَدَّرَ ماضيها ، فتزوجها ، ليستطيع – بإحسانه وإكرامه – تطييب خاطرها ، فهل ذلك مما يُلام عليه ؟ أ.هـ[2].

وأما زواجه ﷺ من السيدة زينب بن خزيمة الهلالية رضي الله عنها[3] وكانت تُسَمَّى : (أم المساكين) ، لرحمتها إياهم ورقتها عليهم ، وقد كانت السيدة زينب وقت زاوجها بالنبي ﷺ أرملة ، قد بلغت الستين من عمرها.

وقد كانت عند الطفيل بن الحارث بن عبد المطلب – ابن عم النبي ﷺ – ثم خَلَفَهُ عليها أخوه عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ، وقد استشهد عبيدة رضي الله عنه

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٢١٧ .

(٢) فقه السيرة / ٤٥٧ .

(٣) انظر ترجمتها في: طبقات ابن سعد ٨/ ٨٢، سير أعلام النبلاء٢/ ٢١٨، الأعلام٣/ ٦٦ .

في غزوة بدر ، فَخَلَفَهُ النبي ﷺ على زينب ، وكان عمرها وقتئذٍ ستين سنة ، ولم يطل بها المقام في بيت النبوة ، حيث توفيت بعد زواجها من النبي ﷺ بزمن يسير ، قيل : لم تلبث عند النبي ﷺ إلا شهرين أو ثلاثة ، وقيل : ثمانية أشهر ، وذلك على أرجح الأقوال .

على أنَّ المؤرخين وإن اختلفوا في أشياء كثيرة تتعلق بالسيدة زينب بنت خزيمة ، إلا أنهم قد اتفقوا على وصفها بالطيبة والعطف على الفقراء ، ولذلك لا يكاد اسمها يُذْكَر في أيِّ كتاب إلا مقروناً بلقبها الكريم (أم المساكين)[1].

وأما زواجه ﷺ من السيدة ميمونة بنت الحارث الهلالية رضي الله عنها[2] ، فكان هبة منها ، وهي التي نزل فيها قوله تعالى : ﴿ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[3] ، وهو مروي عن ابن عباس وعكرمة وقتادة ، وهو أحد الأقوال في تفسير الآية[4] .

ذلك أن خطبة النبي ﷺ انتهت إليها وهي على بعيرها ، فقالت : البعير وما

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٤/ ٢١٢ ، بتصرف .

(٢) وكان اسمها (برة) ، فسماها النبي ﷺ ميمونة ، تيمناً بدخوله مكة ، فقد كان زواجه ﷺ منها في مناسبة دخوله مكة ، لعمرة القضاء، وهو ﷺ الذي غاب عن مكة سبع سنين ، فكان زواجه ﷺ منها في المناسبة الميمونة، وانظر ترجمتها في : طبقات ابن سعد ٨/ ١٣٢، سير أعلام النبلاء ٢/ ٢٣٨، تهذيب التهذيب ١٢/ ٤٥٣ .

(٣) من الآية ٥٠ من سورة الأحزاب .

(٤) روح المعاني ٢٢/ ٨٥ .

عليه لله ولرسوله ، فأنزل الله الآية[1]، وكان زواج النبي ﷺ من السيدة ميمونة سنة سبع ، بعد انتهائه ﷺ من عمرة القضاء ، وبَنَى بها بسَرِف[2] ، على عشرة أميال من مكة ، على ما ذكر ابن إسحاق[3].

وكانت السيدة ميمونة إذ ذاك أرملة في السادسة والعشرين من عمرها.

وأما السيدة مارية القبطية رضي الله عنها ، فقد كانت إحدى الجاريتين اللتين أرسلهما المقوقس - عظيم مصر - إلى رسول الله ﷺ مع حاطب ابن أبي بلتعة ، هي وأختها (سيرين) مع أشياء أخرى .

واصطفى النبي ﷺ لنفسه مارية ، وأهدى شاعره حسان بن ثابت أختها سيرين ، وقد أنجبت مارية لرسول الله ﷺ ولده إبراهيم .

ولعل ارتباط النبي ﷺ بالسيدة مارية القبطية هو ما جعله ﷺ يوصي خيراً بأهل مصر، ففي الصحيح عند الإمام مسلم ، عن أبي ذر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (إنكم ستفتحون مصر ، وهي أرض يُسَمَّى فيها القيراط ، فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها ، فإن لهم ذمة ورحماً) ، أو قال : (ذمة وصهراً) ، وفي رواية : (إنكم ستفتحون أرضاً يُذْكَر فيها القيراط ، فاستوصوا بأهلها خيراً

(١) المرجع السابق ، السيرة النبوية لابن هشام ٤/ ٢١٢ .

(٢) اسم مكان قُرْب التنعيم ، وبنفس المكان – سَرِف – كانت وفاة السيدة ميمونة .

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ٤/ ٥ ، ٦ .

، فإن لهم ذمة ورحماً ...الحديث[1].

مما سبق يتضح لنا ما في زواج النبي ﷺ وتعدد زوجاته من حِكَمٍ بالغة ، ومقاصد كريمة ، وأحكام عظيمة ، على أنه كلام يطول شرحه وبيانه ، لكثرة الحِكَمِ والأحكام والمقاصد المترتبة على تعدد زوجات النبي ﷺ ، لأن من تلك الحِكَمِ حكم تعليمية ، وأخرى تشريعية ، وثالثة اجتماعية ، ورابعة سياسية ، وغير ذلك من الحكم ، وفيما ذكرناه غُنْيَة وكفاية ، لنفي تهم الخصوم عن رسول الله ﷺ بأنه كان شهوانياً ، أو يفتعل الآيات والأحداث لإشباع رغباته الجنسية ، كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً .

ونحن على ثقة من طهارة نبينا ﷺ وأخلاقه العالية ، وإنما ذكرنا ما ذكرناه لمن أراد الحق والإنصاف والتحقيق العلمي ، والله سبحانه من وراء القصد ، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

(١) أخرجه مسلم في كتاب فضائل الصحابة ، باب وصية النبي ﷺ بأهل مصر ، برقم ٢٥٤٣ . صحيح مسلم بشرح النووي ٨/ ٣٣٧ ، ٣٣٨ . وقال النووي في شرح الحديث : أما الذمة فهي الحرمة والحق ، وهي هنا بمعني الذمام وأما الرحم فلكون هاجر أم إسماعيل منهم ، وأما الصهر فلكون مارية أم إبراهيم منهم .

والخلاصة : أنه إذا كانت تلك المزاعم المُفْتَرَاة تتناقض مع أخلاق الرسول ﷺ والنبوة ، وتتعارض مع صريح القرآن الكريم ، ولا يساندها التفسير الصحيح للآيات ، وإذا كان النبي ﷺ يعرف السيدة زينب معرفة حقيقية قبل زواجها بزيد ، وإذا كانت مسألة تعدد الزوجات شاهدة له ﷺ وليست شاهدة عليه ، فلم يبق إذاً إلا رفض هذه الافتراءات . والله أعلم.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات
وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ الخـاتـمـة ﴾

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه ، ومَن عَمِلَ بسنته واهتدى بهداه .

أما بعـد:

فقد عشنا خلال هذا البحث وتلك السطور مع ما ورد من دخيل وأصيل في التفسير ، حول قصة زواج النبي ﷺ بالسيدة زينب بنت جحش رضي الله عنها على ضوء ما جاء في القرآن الكريم ، وقد حاولنا – من خلال ما كتبناه – أن نلفت الأنظار إلى أعداء الإسلام والمسلمين ، من المبشرين والمستشرقين وذيولهم ، الذين دأبوا على قلب الحقائق ، وعمدوا إلى محاولة تشويه صورة الإسلام ، وتشويه صورة القرآن ، وتشويه صورة النبي العظيم ، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، لكنهم مهما فعلوا وحاولوا فلن يضروا الإسلام شيئاً ، إن شاء الله ...

وهل يضر البحر أمسى زاخراً أن رمى فيه غـلام بحجر ؟

وكأنـِّي بهؤلاء وقد تحقق فيهم قول الشاعر العربي :

كناطح صخرة يوماً ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

فعلى هؤلاء أن يمتنعوا عن غَيِّهم ، وأن يعودوا إلى رشدهم ، وإذا أرادوا الكتابة عن الإسلام وكتابه ونبيه ، فليلتزموا الموضوعية والحيادية والجدية والتحقيق العلمي النزيه ، حتى يهتدوا إلى الصواب ، لأنه :

قَدْ تُنْكِرُ الْعَيْنُ ضَوْءَ الشَّمْسِ مِنْ رَمَدٍ وَيُنْكِرُ الْفَـمُ طَعْمَ الماءِ مِنْ سَقَمِ

وقيل أيضاً :

وَكَـمْ مِنْ عَائِبٍ قَـوْلاً صَحِيحَاً وآفَـتُهُ مـنْ الْفَـهْـمِ الْسَّـقِـيمِ

وإذا لم يفعلوا ويهتدوا إلى الصواب ، فما عليهم إلا أن يُسَلِّموا لمن هـداه

الله تعالى إليه ، وصدق مَنْ قال :

وإذا لم تَـرَ الهلالَ فَسَـلِّمْ لأُنَـاسٍ رَأَوْهُ بالأبصـارِ

نسأل الله تبارك وتعالى أن يبصرنا بعيوبنا ، وأن لا يؤاخذنا بذنوبنا ، وأن يتقبل منا هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفع به الإسلام والمسلمين ، وأن يجعله في ميزان حسناتي وحسنات والدَيَّ يوم الدين .

إنه ولي ذلك والقادر عليه ، وهو نعم المولى ونعم النصير .

والحمد لله في الأولى والآخرة

دكتور

أحمد رمضان مصطفىٰ دياب

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد

كلية أصول الدين بالقاهرة

جامعة الأزهر

فهرس المراجع والمصادر

١ – القرآن الكريم . كلام رب العالمين . برواية حفص عن عاصم .
٢ – أحكام القرآن ، لأبي بكر بن العربي .
٣ – الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ، لأبي شهبة .
٤ – الأعلام ، لخير الدين الزركلي .
٥ – التحرير والتنوير ، لابن عاشور .
٦ – تفسير القرآن العظيم ، المشهور بتفسير ابن كثير .
٧ – تفسير النسفي .
٨ – تقريب التقريب ، لابن حجر العسقلاني .
٩ – التلخيص ، للذهبي ، مطبوع على هامش المستدرك ، وسيأتي .
١٠ – تهذيب التهذيب ، لابن حجر العسقلاني .
١١ – جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، المشهور بتفسير الطبري .
١٢ – حضارة العرب ، لجوستاف لوبون .
١٣ – حياة محمد ، لحسنين هيكل .
١٤ – حياة محمد ، لدرمنجم .
١٥ – الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، للسيوطي .
١٦ – دفاع عن محمد ، لعبد الرحمن بدوي .
١٧ – دلائل النبوة ، للبيهقي .
١٨ – روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، للألوسي .
١٩ – سنن أبي داود .
٢٠ – سنن النسائي .

٢١- سير أعلام النبلاء ، للذهبي .
٢٢- السيرة النبوية ، لابن هشام .
٢٣- شرح النووي على صحيح مسلم ، وسيأتي .
٢٤- الصحاح ، المُسَمَّى : تاج اللغة وصحاح العربية ، للجوهري .
٢٥- صحيح البخاري بشرحه فتح الباري .
٢٦- صحيح مسلم بشرح النووي .
٢٧- الطبقات الكبرى ، لابن سعد .
٢٨- فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، لابن حجر .
٢٩- فقه السيرة ، للشيخ محمد الغزالي .
٣٠- الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف ، لابن حجر .
٣١- الكشاف ، للزمخشري .
٣٢- محمد في المدينة ، لمونت جومري وات .
٣٣- المستدرك على الصحيحين ، للحاكم النيسابوري .
٣٤- المسند ، للإمام أحمد بن حنبل .
٣٥- مصدر القرآن ، لإبراهيم عوض .
٣٦- مع المفسرين والمستشرقين ، لزاهر الألمعي .
٣٧- المعجم الوجيز ، لمجمع اللغة العربية .
٣٨- ميزان الاعتدال ، للذهبي .

*** إلى غير ذلك من المراجع المذكورة في ثنايا البحث***

والله أعلم

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٤٥
﴿ المطلب الأول ﴾	٥٠
﴿ آيات القصة في القرآن الكريم ﴾	٥٠
﴿ المطلب الثاني ﴾	٥١
﴿ ما ورد حول القصة من دخيل وروايات مُخْتَلَقَة وقصص موضوعة ﴾	٥١
﴿ المطلب الثالث﴾	٥٦
﴿ نقد تلك الروايات والحكم عليها ﴾	٥٦
﴿ المطلب الرابع ﴾	٦٧
﴿ التعريف بزينب وزيد رضي الله عنهما ﴾	٦٧
﴿ المطلب الخامس ﴾	٧١
﴿ التفسير الصحيح للآيات والقصة ﴾	٧١
﴿ المطلب السادس ﴾	٨٨
﴿ افتراءات الخصوم حول القصة والرد عليها ﴾	٨٨
﴿ الخاتمة﴾	١١٥
فهرس المراجع والمصادر	١١٧
فهرس الموضوعات	١١٩

والله ولي التوفيق